سلسلة القرآن و الحكمة

(1)

# قواعد في المستقبل المعنوي

## استدلالات قرآنية في فلسفة مفاهيم أخلاقية ورسالية

القيت على نخبة من الأكاديميين و الحوزويين

ميثاق طالب كاظم الظالمي

# قواعد

# في المستقبل المعنوي

## استدلالات قرآنية في فلسفة مفاهيم اخلاقية ورسالية

القيت على نخبة من الاكاديميين والحوزويين

ميثاق طالب كاظم الظالمي

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى من شعرت بلطف الله تعالى حافا بيَّ

بقربي منها أثناء مرضها ...

إلى من كانت بصماتها ظاهرة في حياتي ...

إلى والـدتي الصـابرة ...

أُهدي ثواب هذا العمل

# المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد وآله الطاهرين .

هذه سلسلة محاضرات ألقيت على نخبة من الأكاديميين والحوزويين في الحسينية الكوثرية في الناصرية لسنة ١٤٣٢هـ، وهي أجوبة على تساؤلات مستقرأة من الواقع الثقافي والعلمي أخذت طابعا استدلاليا قرآنيا للوصول إلى نتائج اقرب إلى روح القرآن والشريعة . مع ملاحظة تغافلها عن الجانب التحقيقي الدقي، إذ الغرض الأول لهذه القواعد هو بث الروح وإعادة الحياة للنفس الإنسانية ممزوجة بلغة القلب والفكر .

وهذه القواعد وان كانت محورية في مبحثها ولكل واحدة منها عنوان مستقل إلا أنها مستبطنة في داخل كلٍ منها للكثير من القواعد، تُرك الالتفات إليها لفطنة القارئ و أسميتها (قواعد في المستقبل المعنوي)[1] ادعوه تبارك وتعالى أن يمن عليَّ بقبول هذا العمل .

---

١ - عرضت هذه القواعد على سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في جمادي الأولى ١٤٣٣ هـ وتم الاطلاع عليها إجمالاً من قبل سماحته (دام ظله) ثم أذن (دام ظله) بطباعتها في شهر شعبان لنفس السنة .

ولا يسعني في هذا العجالة سوى أن أقدم شكري الخالص لأخي الشيخ حاتم الحسناوي للعناء الذي بذله والجهد الذي قدمه في طباعة هذا البحث، والاتصال المستمر معي للاستفسار عن بعض المفاهيم والأمور غير الواضحة أثناء طباعته والتي كانت جهودا مضنية كلفته كثيرا من الوقت والتعب والتفرغ لإخراجه بهذه الصورة وهذه المواقف لا تصدر إلا من خلص الأخوان. فجزاه الله خير جزاء المحسنين و أجزله أجر الصابرين الناصرين .

وكذلك لا يفوتني شكر الأساتذة الفضلاء الذين اطلعوا على هذا البحث وأبدوا آراءهم وتقييماتهم الموضوعية وبالخصوص الأساتذة الشيخ حيدر أبو الهيل والشيخ أركان الطائي، لما بذلوه من جهد لإخراج البحث بصورته التامة.

فجزاهم الله خير جزاء المحسنين وكتب لهم بهذا العمل أجر الأخ المساند لأخيه .

والحمد لله رب العالمين و صلى الله على محمد وآله الطاهرين .

ميثاق طالب كاظم الظالمي

# القاعدة الأولى

# إنما تُنال المراتب العالية

# بقضاء الحوائج والمبالغة فيها

# إنما تُنال المراتب العالية بقضاء الحوائج والمبالغة فيها

يسعى البعض من المؤمنين إلى قضاء الحوائج بعد ثبوت مالها من الأجر الموعود وجزيل الثواب، روى ثقة الإسلام الكُليني بسنده عَنِ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) (قَالَ: قَالَ لِي يَا مُفَضَّلُ اسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ الْحَقُّ وَافْعَلْهُ وَأَخْبِرْ بِهِ عِلْيَةَ إِخْوَانِكَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا عِلْيَةُ إِخْوَانِي قَالَ الرَّاغِبُونَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ إِخْوَانِهِمْ قَالَ ثُمَّ قَالَ وَمَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ أَلْفِ حَاجَةٍ مِنْ ذَلِكَ أَوَّلُهَا الْجَنَّةُ وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يُدْخِلَ قَرَابَتَهُ وَمَعَارِفَهُ وَإِخْوَانَهُ الْجَنَّةَ بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُوا نُصَّاباً وَكَانَ الْمُفَضَّلُ إِذَا سَأَلَ الْحَاجَةَ أَخاً مِنْ إِخْوَانِهِ قَالَ لَهُ أَمَا تَشْتَهِي أَنْ تَكُونَ مِنْ عِلْيَةِ الْإِخْوَانِ)[1] وورد عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) (قَالَ: قَالَ مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ طَوَافاً وَاحِداً كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ سِتَّةَ آلَافِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ سِتَّةَ آلَافِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ اللَّهُ لَهُ سِتَّةَ آلَافِ دَرَجَةٍ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْمُلْتَزَمِ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ قُلْتُ لَهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا الْفَضْلُ كُلُّهُ فِي الطَّوَافِ قَالَ نَعَمْ وَأُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَضَاءُ حَاجَةِ الْمُسْلِمِ أَفْضَلُ مِنْ طَوَافٍ وَطَوَافٍ وَطَوَافٍ حَتَّى بَلَغَ عَشْراً)[2] ولأنها طريق لخلق حالة اجتماعية طيبة وما فيها من التقارب النفسي والمنفعة المتبادلة والتودد للولوج إلى قلوب الآخرين وأعماقهم

١ - الكافي ج٢ ص٤٤٥ باب قضاء حاجة المؤمن.

٢ - المصدر السابق ص٤٤٦

النفسية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) (رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الدِّينِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَاصْطِنَاعُ الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ بَرٍّ وَفَاجِرٍ)[١] وقد سُئل أحد الفقهاء والعلماء يوما (لو بقي من عمرك ساعة فماذا تفعل قال أقضي بها حوائج الناس)[٢] إلا أن هذه السُنَّة العظيمة لا تعطي نتاجاتها الكاملة أحيانا - رغم مزاولة البعض لها ودأبهم على أدائها - وربما يلحظ على ذلك عدة أسباب :

**منها:** أن البعض يؤديها طلبا لفوائدها الاجتماعية القريبة فتكون النتيجة على قدر الفائدة أو أن البعض يفعلها كُرها لما يعتقده في داخله من مضاداتها لمزاحمة قضاء الحوائج غالبا لأموره الشخصية، والبعض يتصور أنها من الأعمال الاجتماعية التي لا تدر على الفرد الطالب للكمال أي كسب علمي أو معنوي (فهي خسارة من هذه الجهة) وان كانت لها ثواب كبير ومهم. ونريد هنا أن نثير بعض الإشارات المعنوية التي قد تغير فهمنا لهذه السُنة الكريمة نذكرها تباعا :

## لماذا قضاء الحوائج :

وقد يرد سؤال: **لماذا جعل الله تعالى في قضاء الحوائج كل هذه الامتيازات ؟**

---

١ - بحار الأنوار ج٧١ باب٢٨ ص٢٧٠

٢ - هو آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني(راجع كتاب قصص وخواطر للشيخ عبد المهتدي البحراني ص٤٢٥)

**وجوابه :**

أن الساعي في قضائها من الذين يؤثرون على أنفسهم، لطلب الإنسان الراحة والسكون، ولأن نفسه تميل إلى الكسل فهي تربية للنفس للتخلص من أثقالها، وان طلب الحوائج يستلزم أحيانا بذل أشياءٍ عزيزة على النفس.

**ومنها:** بذل ماء الوجه وهو عزيز وتميل النفس إلى حفظه فهو بذل للعزيز وهو فرصة للمن وإظهار الاصطناع فربما يتعرض الساعي بالواسطة لقول احدهم (الم أعطك كذا) (الم أحسن إليك) (الم أعنك) وهو شعور بالفقر إليه، إذ أن المنة شأن المنعم والممنُون عليه شأن الفقير ولأنه تخلق بخلق كريم من أخلاق الله تعالى، فقد ورد في الدعاء (اللَّهُمَّ يَا مُنْتَهَى مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ وَيَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ)[1] ولأن الإيثار - بما ذكرناه - خلع لرداء الكبرياء وإظهار العبودية . روى الكليني بسنده (عَنْ أَبِي عُمَارَةَ قَالَ كَانَ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ إِذَا لَقِيَنِي قَالَ كَرِّرْ عَلَيَّ حَدِيثَكَ فَأُحَدِّثُهُ قُلْتُ رُوِّينَا أَنَّ عَابِدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعِبَادَةِ صَارَ مَشَّاءً فِي حَوَائِجِ النَّاسِ عَانِياً بِمَا يُصْلِحُهُمْ)[2] وأن في قضائها التماسا للعلل العليا (وَيَا مَنْ يُسْتَغْنَى بِهِ وَلَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ)[3] ولأن في قضائها محلا لقربه تعالى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام)

١ - الصحيفة السجادية مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

٢ - الكافي ج٢ ص٤٤٨

٣ - الصحيفة السجادية مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ نَفَعَ عِيَالَ اللَّهِ وَأَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ سُرُوراً )[1] ولولا القاضي ما ظهرت ... فتبصر .

## صفات قاضي الحاجات :

إن قضاء الحوائج هبة وخصوصية تمنح لبعض خلقه وعباده تبارك وتعالى، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) قَالَ ( إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ انْتَجَبَهُمْ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ فُقَرَاءِ شِيعَتِنَا لِيُثِيبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ فَكُنْ)[2] وقال (عليه السلام) (إِنَّ لِلّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ)[3] والظاهر أنهم بحسب تكوينهم وأيمانهم، بعد اختيار الله تعالى لحكمة خفية عنده تبارك وتعالى اصطفى بعض عباده لهذه المرتبة السامية قال(عليه السلام) في الدعاء (وَيَا مَنْ لَا تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ)[4].

فحكمته متسقة مع وسائله وهم خلقه المختارون لقضاء الحوائج، ورد في الحديث عن الرِّضَا (عليه السلام) عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ فَإِنَّ فِعَالَهُمْ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ حَسَناً)[5]

---

١ - الكافي ج٢ص٤٢٩
٢ - الكافي ج٢ ص٤٤٥
٣ - نهج البلاغة، قصار الحكم، الحكمة ٤٢٥
٤ - الصحيفة السجادية مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.
٥ - وسائل الشيعة ج١٤ ص ٢٧٤

والمعنى أما أن يراد به اقضوا حوائج حسان الوجوه لظهور بعض علامات الصدق عليه، أو أن المقصود منه صفات قاضي الحوائج بذل الوجه وعدم العبوس (وأخو الحوائج وجهه مبذول) للمعرفة المكنونة في صدره، ولأنه محلا لرضاه تعالى وغضبه فصار وجهه حسنا مبذولا لمظهرية صفات الجواد المعطي فيه (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ يُقَرِّبُ مِنَ اللَّهِ وَيُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ فَقَالَ بَلَى فَقَالَ عَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقاً بِرَحْمَتِهِ لِرَحْمَتِهِ فَجَعَلَهُمْ لِلْمَعْرُوفِ أَهْلًا وَلِلْخَيْرِ مَوْضِعاً وَلِلنَّاسِ وَجْهاً يُسْعَى إِلَيْهِمْ لِكَيْ يُحْيُوهُمْ كَمَا يُحْيِي الْمَطَرُ الْأَرْضَ الْمُجْدِبَةَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] فتأمل ....

## كيف يكون المؤمن من الذين أختصهم الله تعالى لقضاء حوائج خلقه؟

**وجوابه:**

توجد عدة طرق: **منها** الدعاء (وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ)[2].

و**منها** مفارقة أعداء الله تعالى قال تعالى ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3] فأعطاه السعي لقضاء حوائج عياله .

---

١ - الكافي ج٤ ص٣٢١

٢ - الصحيفة السجادية مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَ مَرْضِيِّ الْأَفْعَالِ

٣ - الشعراء٢١

ومنها الرجولة والصلابة وعدم التميع فكلما شعر الإنسان بأنه مسؤولا وشعر بضعف الآخر وحاجته إليه وجاهد نفسه مما تميل إليه من سكون وراحة ظهرت عنده القوة في قضاء الحوائج قال تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء﴾[١] ... فتدبر في بعض لطائف القران .

ومنها التخلص من حب الدنيا والمال وعدم الهم والتخوف من الخسارة في قضاء الحوائج، فقد روى ثقة الإسلام الكُليني بسنده عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ ( كُنْتُ أَطُوفُ مع أَبِي عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَكَرِهْتُ أَنْ أَدعَ أَبَا عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) وأَذْهَبَ إِلَيْه فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضاً فَرَآه أَبُو عَبْدِ اللَّه (عليه السلام) فَقَالَ يا أَبَانُ إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَمَنْ هُوَ قُلْتُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْه قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبْ إِلَيْه قُلْتُ فَأَقْطَعُ الطَّوَافَ قَالَ نعم قُلْتُ وإِنْ كَانَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَذَهَبْتُ مَعَهُ ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْه بَعْدُ فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَقَالَ يَا أَبَانُ دَعْهُ لَا تَرِدْهُ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَلَمْ أَزَلْ أُرَدِّدُ عَلَيْه فَقَالَ يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَالِكَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي فَقَالَ يَا أَبَانُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ الْمُؤْثِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قُلْتُ بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ

---

١ - النساء٣٤

أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْثِرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ الْآخَرِ)[1].

ومنها الكتمان فقد وورد في الحديث (استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان)[2] لما في الكتمان من رغبة النفس لتحصيل أمر خاص لا يشاركها في فضله غيرها، ولأن الكتم عموما مما يدقق طاقة النفس المكنونة وتزداد شرفية الحوائج بزيادة شرفية الكتمان والمكتوم ... فتدبر.

## موانع قضاء الحوائج:

وهي أضداد هذه الصفات كالاختلاط بأعداء الله تعالى واكتساب عاداتهم، ومنها عدم تعويد النفس على المسؤولية وتعويدها على الكسل والاسترخاء والأنانية وحب الذات وحب الدنيا والمال والاشتغال بالعلاقات العاطفية الفارغة فإنها من مثبطات الهمم والخوف من الخسارة والفقدان، فقضاء الحوائج يعطي المراتب العالية، قال تعالى ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾[3] ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارا﴾[4] ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾[5] وقد سعى (عليه السلام) لقضاء حاجة أهله فشرفه الله تعالى بالتكليم فصار قضاء الحوائج من أخص الطرق لنيل الأنبياء المراتب السامية

١ - الكافي ج٢ ص٤٣٣

٢ - مجموعة ورام، باب ما جاء في الحسد

٣ - طه١٠

٤ - النمل٧

٥ - القصص٢٩

والعالية دون جميع الناس فان الله تعالى ما قدمهم على خلقه ونصبهم أئمة عليهم إلا ليسعون في مصالحهم والذي ينتجه هذا السعي أمراً عظيماً .

فظهر إلى هنا :

أن لقضاء الحوائج آثارا معنوية وتربوية مهمة وهي باب واسع لطالبي الكمال والباحثين عن الجواهر المعنوية لذا جعلها الله تعالى من مختصات بعض عباده وهي من النعم الخاصة والألطاف المحصورة وإنها من الأمور التي تحدث تغيرا كبيرا في باطن الإنسان يظهر عبقه الكريم ورائحته الزكية على ظاهره، عَنْ مِسْمَعٍ أَبِي سَيَّارٍ قَالَ (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) يَقُولُ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرَبَ الْآخِرَةِ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ ثَلِجُ الْفُؤَادِ وَمَنْ أَطْعَمَهُ مِنْ جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَمَنْ سَقَاهُ شَرْبَةً سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ)[١] .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

---

١ - الكافي ج٢ ص٤٤٩

# القاعدة الثانية

# التبدل

# حقيقة في حياة المؤمنين

# التبدل حقيقة في حياة المؤمنين

يتعرض الجميع إلى تقلبات وتبدلات في حياته ويتأسى البعض على ما مضى من الزمان وعلى ما تذوقوه فيه من حلاوة الإيمان والمعرفة ويتمنون في داخل أنفسهم لو لم يتبدل كل هذا إلى ما يتعايشون معه اليوم على مستوى حياتهم الدينية والثقافية أو على مستوى حياتهم الاجتماعية والشخصية،فقد تبدلوا من زمن طاعة وإقبال إلى زمن معصية وإدبار ومن زمن تربية وإعداد إلى خمول وتراخٍ .

وكذلك التغيرات في الظواهر الكونية الطارئة عليهم والتغيرات في القلب والذي لا يبقى على حاله فقد ورد في الحديث عَنْ سَلَّامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ قَالَ (كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جعفرٍ (عليه السلام) فَدَخَلَ عَلَيْهِ حُمْرَانُ بْنُ أَعْيَنَ وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاء فَلَمَّا هَمَّ حُمْرَانُ بِالْقِيَامِ قَالَ لِأَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) أُخْبِرُكَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ لَنَا وَأَمْتَعَنَا بِكَ أَنَّا نَأْتِيكَ فَمَا نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى تَرِقَّ قُلُوبُنَا وَتَسْلُوَ أَنْفُسُنَا عَنِ الدُّنْيَا وَ يَهُونَ عَلَيْنَا مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ ثُمَّ نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ فَإِذَا صِرْنَا مَعَ النَّاسِ وَالتُّجَّارِ أَحْبَبْنَا الدُّنْيَا قَالَ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) إِنَّمَا هِيَ الْقُلُوبُ مَرَّةً تَصْعُبُ وَمَرَّةً تَسْهُلُ)[1].

١ - الكافي ج٢ ص٥٥٠ باب في تنقل أحوال القلب

وهـذا التبـدل والـتغير يُقابَـل عـادة مـن قبـل المـؤمنين بعـدم الرضـا والانزعـاج وتمـني بقـاء الحـال والعـيش بحالـة مثاليـة مـن النـاحيتين الماديـة والمعنوية .

ولأجل معرفة الاتجاه الصحيح الذي تتبناه الشريعة نحتاج إلى أن نحقق (بشيء من التحقيـق) في فلسـفة هـذا الموضـوع والتزاماتنا تجاهـه كونـه مـن الأمور التي يتعرض الإنسان لها، وسنعقد الكلام عنه بمحاور نطرحها على شكل أسئلة :

## السؤال الأول : بماذا يقع التبدل؟

ذكرت الآيات القرآنية الكريمة عدة أشكال له :

قال تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ﴾[١] والآيـة دلـت علـى وقـوع التبـدل منـه تبـارك وتعـالى في الآيـات والعلامات . فتتوالى العلامات، وتظهر تباعا على مستوى الحقائق القرآنية أو الآيات الكونية، والمتحكم في كل هذا التبدل هو علمه تبارك وتعالى .

ويقـع التبـدل في جـزاء الأعمـال قـال تعـالى ﴿ثُـمَّ بَـدَّلْنَا مَكَـانَ السَّـيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾[٢] وهـذا الشـكل منـه يقـع في عـالم الـدنيا فـيرى الإنسـان التبـدلات الحاصلة له جزاء أعماله وهو أيضا حاصل منه تبارك وتعالى .

---

١ - النحل١٠١

٢ - الأعراف٩٥

ويقع في عالم الآخرة وعالم الجزاء مما نعجز عن إدراك كيفيته .

ويقع التبدل في الأعيان قال تعالى﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾[١] وبقرينة قوله تعالى ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٢] وربما يحصل بزوال العين واختفائها الجزئي أو الكلي أو إبعادها عن محل الحدث، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ فَقُلْتُ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرّاً لَهُمْ مِنِّي)[٣] . ويقع التبدل على الهيئات الطارئة على الإنسان في العالم الآخر ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا﴾[٤] ويظهر منه استمرارية التبدل حتى بعد استحقاق الجزاء وثباته .

ويقع التبدل على نعم الله تعالى ﴿ الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً﴾[٥] .

فظهر إلى هنا أن التبدل حالة من تغير ظاهر الأمور، وهي معلول لمعتقدات الإنسان الداخلية وظهر منه أن التبدل حقيقة لا يظهر إلا منه تبارك وتعالى ولا يمتلك الإنسان القدرة الواقعية على إنشائه بعد التدبر فيما ذكرته الآيات القرآنية قال تعالى (بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) و (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ

---

١ - الإنسان٢٨
٢ - الأحزاب ٢٣
٣ - نهج البلاغة
٤ - محمد٣٨
٥ - النساء٥٦

الْحَسَنَةَ) و (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً) و (كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جلُوداً غَيْرَهَا) .

ويظهر أن التبدل الواقع من قبل الإنسان وان ظهر كسبب قريب إلا انه منتزع الحول والقوة واقعا فقوله تعالى (بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً) لا يقع لسعة نعم الله وبقائها عليهم.

## المقارنة بين انتفاء تبدلين:

### هل لقوة الحقائق وهيأتها علاقة مع تبدل الأحوال؟

قال تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[1] وقال تعالى ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[2] ويظهر من هاتين الآيتين انتفاء تبدلين وعدم وقوعهما، وعلة الأول قوة الحقيقة في المُبَدَل (بالفتح) وعلة الثاني قوة الحقيقة في المُبَدِل (بالكسر).

فظهر أن التبدل لا يقع مع الحقائق القوية في المبدل (بالفتح) أو المبدل (بالكسر)، فالتبدل حقيقة مفهوم ينتزعه الذهن من تعاقب الصور والمعاني ويختفي هذا الانتزاع بظهور حقيقة مجردة أو حقيقة نفسية وإشراقها على تلك الصور كالضوء المسلط على صور مقطعة ومفرقة ليظهرها بصورة واحدة حية نابضة رغم تفرقها، وهذه هي كيفية التبدل فان ما يراه المؤمنون وما

---

١ - الأحزاب ٢٣

٢ - يونس ١٥

ذكرناه من ناتج إما من انخفاض الحقائق في نفوسهم أو من عدم نظرهم إلى الحقائق ونظرهم إلى غيرها.

إذن ما حقيقة التبدل ؟

## حقيقة التبدل:

قال بعضهم (إن في العالم الحسي والكون الثابت استحالات مع الأنفاس لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس.... فلا تدركه .... إلا بالبصيرة) والتبدل بعد علمنا بكيفيته نسأل ما هي حقيقته ؟

**وجوابه:**

بعد تدبرنا ببعض الآيات الكريمات قال تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ﴾[1] فظهر أن العلة الأولى هي حقيقة العبودية، وقال تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] (يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ)[3] فالتبدل حقيقته انتقال من شأن إلى شأن ومن معنى إلى معنى ومن صورة إلى صورة ، والعالم كله هكذا، والإنسان منذ ولاته وحتى نشأته وبلوغه ونضوجه ورشده وهرمه وبما يمر به من متغيرات كالجهل و العلم والصحة والمرض والخلة والألفة وابتعاد الأحبة والنجاح والفشل والسهو والنسيان والتذكر والدقة وعدم الاتفاق

١ - النساء٧٨

٢ - الرحمن٢٩

٣ - بحار النوار ج٨٧ ص١٠٧

والانضباط وعدمه والغفلة والإيمان وارتفاعه وانخفاضه .... وغيرها هي خاضعة لقوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ) بقدر استيعابنا لحقيقة الأمر بين الأمرين الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، فراجع .

وشهد لذلك الحديث القدسي (خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي)[1] ويظهر له معنى لطيف بحسب ما ذكرناه أن الأشياء بما تحويه من متغيرات وزيادة ونقصان خلقت لأجلك. أي لأجل إدراك الحقيقة الواحدة خلق تلك التبدلات. فيظهر معنى (وخلقتك لأجلي) .

وان هذا التبدل له منافع لا ندركها، فقد ورد في الحديث (إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر)[2] رغم تمني الإنسان غالبا تبدلها إلى الغنى وحالة التبدل هذه هي القوة في بقاء الإنسان (خلقتم للبقاء إنما تنتقلون من دار الدار)[3] أي من صورة إلى صورة، وهذا التبدل هو السر في اكتساب القوة الأبدية في البقاء .

فظهر إلى هنا حقيقة التبدل وانه وان كان كيفية انتزاعية ترجع بقوة الحقيقة إلى صورة واحدة إلا إن غياب هذه القوة النفسانية يغيب بعض الإدراكات الواقعية .

---

١ - شرح الأسماء ملا هادي السبزواري ص٥٤٧
٢ - الكافي ج٢ ص ٥٢٠ باب من آذى المسلمين واحتقرهم
٣ - بحار الأنوار ج٦ باب ٨ ص٤٢٩

## المؤمنون ومفهوم التبدل :

ذكرت بعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الطرق التي يجب أن يتبناها المؤمنون لعدم وقوعهم في الأثر السلبي للتبدل.

**ومنها الصدق** ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[١]، فالتبدل لم يقع منهم بسبب صدق العهد والمعرفة بالله تعالى، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (اعلم الناس بالله أرضاهم بقضائه)[٢] ومثله قوله تعالى﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[٣] فمعرفة الله تجعل المتبصر يرى الحقيقة الواحدة وراء التبدلات وعدم النظر إليه والانشغال برؤية النفس يُظهر التبدلات و يُظهر نسبتها وشرّيّتها .

**ومنها : النظر إلى ربوبيته تعالى** والتخلي عن الأرباب المزعومين إذا أنصرف النظر لهم مع التبدلات الحاصلة فيهم (وَ فَتَحَ لَنَا مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِه)[٤].

---

١ - الأحزاب٢٣

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة٢٤٤٢ ص١١٢

٣ - النساء٧٩

٤ - الصحيفة السجادية مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ( إِذَا ابْتَدَأَ بِالدُّعَاءِ بَدَأَ بِالتَّحْمِيدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ )

ومنها: **التدبر بحكمة الخلق وفلسفة وجوده والتدقيق في حقائق الأشياء** فقد ورد عن الصادق (عليه السلام) (لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ لَمْ يَلُمْ أَحَدٌ أَحَداً)[1] .

ومنها : **الحمد الكثير** فكلما حمد الإنسان وعوَّد نفسه وقلبه على الحمد لله تعالى تجاوز التبدل ولا يتأثر به سلبا فقد ورد في دعاء الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَال)[2] فقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (عَلَى كُلِّ حَال) أشارة إلى اختفاء التبدلات والتغيرات وجامعية الأمور، وحصل بعد حصول الحمد لله تعالى .

ومنها : **إدراك الرحمة**، فعدم إدراك الرحمة الكبيرة في الوجود وعدم نظر الإنسان إليها وعدم شعوره بها يوقعه في التبدل فقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ( قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ)[3] فينقله تعالى من رحمة إلى رحمة ويدل عليه اسم الرحمن في ذيل الرواية، ولو شعر الإنسان بأنه يُنقل من رحمة إلى شيء آخر غير الرحمة وقع في التبدل وبمجرد فهمه انه انتقل من رحمة إلى رحمة تجاوز التبدل والتغير... فتفكر.

---

١ - بحار الأنوار ج٦٦ باب ٢٣ ص ٣٨٧

٢ - الكافي٢ ص ٩٤ (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله إِذَا وَرَدَ عَلَيْه أَمْرٌ يَسُرُّهُ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَغْتَمُّ بِهِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَال)

٣ - بحار الأنوار ٦٧ ص٢٩ باب ٤٤ القلب و صلاحه و فساده

## ما الفائدة من الدعاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

وقد يقول قائل إن معنى كلامكم أن كل التبدلات التي تقع للإنسان هي خير لأنها تنقله من خير إلى خير سواء أكان الحال ايجابيا أم سلبيا فهو خير وكذلك الحال بالنسبة للأمة فإن أي حال تكون به فهو خير بغض النظر عن شكله لأنه خير حقيقة، وعلى هذا فلماذا ندعو الله تعالى أن يغير حالنا من حال إلى حال وما الفائدة من كل هذه الأدعية الواردة عن النبي وآله الطاهرين (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) ؟ وكيف نطبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان الحال هو خير بغض النظر عن كونه سلبيا أم ايجابيا؟

**وجوابه:**

إن فكرة الدعاء لها أكثر من مفهوم بحسب معرفة الإنسان وثقافته فبعضهم يفهم الدعاء بأنه طلب تغير الحالة إلى غيرها وهو فهم صحيح، فيعامله الله تعالى بحسب معرفته فيغير له الأشياء ولكنه يُحرَم من هذه المعارف، وبعضهم يفهم الدعاء بأنه طريق للانتقال من تلك التبدلات والتغيرات للوصول إلى حقيقة واحدة كما حصل مع النبي إبراهيم خليل الرحمن (صلوات الله عليه وعلى نبينا وآله الطاهرين) فقد ورد انه ( أَمَرَ نُمْرُودُ بِجَمْعِ الْحَطَبِ فِي سَوَادِ الْكُوفَةِ عِنْدَ نَهْرِ كُوثَى مِنْ قَرْيَةِ قُطْنَانَا وَأَوْقَدَ النَّارَ فَعَجَزُوا عَنْ رَمْيِ إِبْرَاهِيمَ فَعَمِلَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْمَنْجَنِيقَ فَرُمِيَ بِهِ فَتَلَقَّاهُ جَبْرَئِيلُ فِي الْهَوَاءِ فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَقَالَ أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا حَسْبِيَ اللَّهُ

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَاسْتَقْبَلَهُ مِيكَائِيلُ فَقَالَ إِنْ أَرَدْتَ أَخْمَدْتُ النَّارَ فَإِنَّ خَزَائِنَ الْأَمْطَارِ وَالْمِيَاهِ بِيَدِي فَقَالَ لَا أُرِيدُ وَأَتَاهُ مَلَكُ الرِّيحِ فَقَالَ لَوْ شِئْتَ طَيَّرْتُ النَّارَ قَالَ لَا أُرِيدُ فَقَالَ جَبْرَئِيلُ فَاسْأَلِ اللَّهَ فَقَالَ حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي)[1] فهو (عليه السلام) لم يطلب تبدل الحال من حال إلى حال بل طلب الحقيقة الواحدة فقال الله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2] ويدل عليه أن القول صدر منه تعالى ﴿قُلْنَا﴾ ولم يصدر من إبراهيم (عليه السلام) كما مر في الرواية .

## أما بالنسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

**فجوابه:** إن هذا الأمر متعلق بالقدر أولاً، ويتعلق بالقضاء ثانياً، وكلامنا في القضاء وليس في القدر، و الإنسان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالحقيقة يشترك في سلسلة معينة من الوجود، والآمر بالمعروف هو حلقة من هذه السلسلة، والمجموع الكلي لتلك السلسلة هو القضاء والعنصر الواحد من تلك السلسلة هو القدر. فلو عُطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلن تصل النوبة إلى القضاء ولن يحصل على المعرفة المنشودة ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ لأنك تتعامل مع عنصر من هذه السلسلة وهو القدر ولا تحصل المعرفة إلا بالقضاء .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

١ - بحار الأنوار ج : ٦٨ ص : ١٥٦

٢ - الأنبياء٦٩

# القاعدة الثالثة

# عمق المفاهيم

# يبدل صورة الإدبار في العبادة

# عمق المفاهيم يبدل صورة الإدبار في العبادة

نسمع من بعض المؤمنين تساؤلا عن إدبار نفسه للتفاعل مع بعض البرامج العبادية كالأدعية من ناحية عدم تفاعله معها من جهة،أو عدم إقباله على قراءتها من جهة أخرى،وكذا عدم فهمه لآيات الكتاب الكريم،أو أثناء أدائه للصلاة وعدم إحساسه بها أو لمسه لعوالمها،والصوم والتعايش المحدود مع أجوائه،أو اختفاء بعض المعنويات عموما في حياته كالحكمة والمعرفة فما السبب المحتمل وراء ذلك ؟

وهل يمكن معالجة هذه الأمور ولو بدرجة من درجات العلاج على المستوى النظري أو البحثي فقد ورد في الحديث (لا تكرّهوا إلى أنفسكم العبادة)[1] والحديث حثنا (ضمنا) إلى اكتشاف أفضل الطرق للعبادة كي لا تكرهها أنفسنا وعلينا أن ندرس حقيقة الإدبار كخطوة أولية للإجابة على هذا التساؤل فنقول :

## هل الإدبار حالة ايجابية؟

قد يدعي بعضهم أن الإدبار الحاصل أمر طبيعي فالقلوب بين إقبال وإدبار وهذا وان كان صحيحا بذاته إلا أن دوام الحالة واستمرارها هو ما نقصده هنا لا حصولها الجزئي والوقتي الطارئ زمانا، وما نقصده هنا من حصول الإدبار النفسي هو التولي والإعراض وهو إذا كان كذلك فهو ليس

١ - الكافي ج٢ ص٣٨٦ باب الاقتصاد في العبادة

حالة ايجابية قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾[1] فحقيقة الإدبار هي لظى وهي ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾ وهو وصف مخيف قد لا يدركه من يتصورون أن إعراض نفوسهم عن هذه المعنويات لا يضر في دينهم ولا يؤثر على معنوياتهم، لذا جاء الجواب لهم على ما يعتقدون بـ (كَلَّا) ثم ذكرت الآية أمرا لطيفا وهو (تَدْعُو) فكأن نفس عملية الإدبار هي وان كانت ابتعادا في ظاهرها إلا إنها اقتراب من جهة أخرى كالذي يبتعد عن اليمين فهو مقترب من الشمال أو كالذي يتحرك إلى الخلف فهو يبتعد عن الأمام وقد ورد في الحديث القدسي (لا يسكن في جواري من عصاني)[2].

وهذه الحركة العكسية ثابتة فقد ورد في الحديث ما يؤيد بناء القوانين في الوجود على هذه الفلسفة قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ فَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا آمَنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )[3] لاحظ أن الوجود النفسي لحالة الأمن في الدنيا لها صورة الخوف يوم القيامة وكذا العكس فالحركة العكسية ثابتة، إذ انه أدبر في الدنيا عن الخوف واقترب من الأمن، لكن بكشف الحقيقة يظهر انه يقترب من الخوف .... فتدبر .

---

١ - المعارج الآيات (١٥ - ١٦- ١٧)

٢ - بحار الأنوار ج٥٧ ص٤٢ باب ٣٢

٣ - بحار الأنوار ج٦٧ ص٢٤٨ باب ٥٩

وقد ورد في الدعاء (وَآمِنْ خَوْفَ نَفْسِي)[١] فالأمن مع خوف النفس والخوف مع أمن النفس وهذا الفهم للوجود ككل علامة جيدة لفهم الإنسان محله ونقطة حركته وستكشف له الأمور قبل تحققها عليه ولا يعطي لنفسه أي تبريرات أخرى ويظهر معنى الحديث القائل (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْداً ابْتَلَاه)[٢] أي غير حركته ووجهته فأدبره عن شيء وقربه من شيء، ويظهر منه معنى (لا يزال يتقرب إلي عبدي بالنوافل)[٣] إذ أن النوافل هي إدبار عن أشياء كالوسوسة والفراغ والجدل والانشغال بأمور في الدنيا، ويظهر منه معنى (اللَّهُمَّ إِنَّكَ طَالِبِي إِنْ أَنَا هَرَبْتُ، وَمُدْرِكِي إِنْ أَنَا فَرَرْتُ)[٤] فظهر الطلب والإدراك ولم يظهر القرب .

فتبين إلى هنا أن الإدبار الحاصل هو تولي وهو حالة سلبية تكون جزءا من قانون عكسي يحرك المتلبس به إلى بعد آخر وعالم آخر وهذا لازم للارتداد ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[٥] .

---

١ - الصحيفة السجادية مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الِاعْتِرَافِ وَ طَلَبِ التَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

٢ - بحار الأنوار ج٧٨ ص٣٣٩ باب ١ فضل العافية والمرض

٣ - إرشاد القلوب ج١ ص٩١ باب ٢٢

٤ - الصحيفة السجادية (مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرَّهْبَةِ)

٥ - المائدة٢١

## ما أسباب الإدبار :

### أولا :

قال تعالى ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [١] وقد بينت الآية سببين مرتبين طوليا الأول الاستكبار والثاني تقليل المعنويات والمعاني العالية في النفس ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾، والاستكبار هو الاستنكاف قال تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ﴾ [٢] وهو مؤيد لما ذكرناه ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾ وكذلك يؤيده قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ﴾ [٣] وهو مؤيد لما ذكرناه ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾ [٤] وكذلك مؤيده قول الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٥] ويظهر معنى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء﴾ [٦] كالدعاء والصلاة، ثم ذكرت الآية ما يعاكس هذه الصفة أو صورتها المضادة قال تعالى ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [٧] وهو معنى جيد لفهم ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

---

١ - المدثر ٢٣-٢٤.
٢ - النساء١٧٣
٣ - الأعراف٣٦
٤ - المعارج١٥
٥ - الأعراف٣٦
٦ - الأعراف٤٠
٧ - فصلت ٣٨

قُتلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1] والاستكبار حالة و إن رفضها الإنسان المؤمن إلا أنها تعرض عليه أحيانا من حيث لا يشعر كما لو أعجبته نفسه أو استكثر عمله أو صغر في عينه ذنبه، فقد ورد عن الصادق (عليه السلام) في ذم استكبار إبليس عليه اللعنة (وَاعْتَبِرْ بِمَا فَعَلَ بِنَفْسِهِ مِنَ الْإِغْرَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ مِنْ حَيْثُ غَرَّهُ وَأَعْجَبَهُ عَمَلُهُ وَعِبَادَتُهُ وَبَصِيرَتُهُ وَرَأْيُهُ قَدْ أَوْرَثَهُ عَمَلُهُ وَمَعْرِفَتُهُ وَاسْتِدْلَالُهُ بِمَعْقُولِهِ عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ إِلَى الْأَبَدِ)[2] وهي عزة موهومة فما من رذيلة إلا ويضطر إليها لحفظ العزة الموهومة، وما من فضيلة إلا وهو عاجز عنها خوفا من الزلّة الموهومة، فقد ورد في مخاطبة بين موسى (عليه السلام) و إبليس عليه اللعنة (فَقَالَ مُوسَى فَأَخْبِرْنِي بِالذَّنْبِ الَّذِي إِذَا أَذْنَبَهُ ابْنُ آدَمَ اسْتَحْوَذْتَ عَلَيْهِ قَالَ إِذَا أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ وَاسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ وَصَغُرَ فِي عَيْنِهِ ذَنْبُه)[3] وربما زاد إلى أن يؤدي للاستكبار على الله ورسوله وأنبيائه بإنكار كلامهم والاستنكاف عن الامتثال لأوامرهم، فقد ورد عن أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ﴾ بَعْدَ تِلَاوَتِه لَهَا ( أَفَتَدْرُونَ الِاسْتِكْبَارَ مَا هُوَ، هُوَ تَرْكُ الطَّاعَةِ لِمَنْ أُمِرُوا بِطَاعَتِهِ وَالتَّرَفُّعُ عَلَى مَنْ نُدِبُوا إِلَى مُتَابَعَتِه)[4] .

---

١ - آل عمران١٦٩

٢ - بحار الأنوار ج٧٠ ص ٣٤٧ باب الكبر

٣ - الكافي ٢ ص٥٠٢ باب العجب

٤ - بحار الأنوار ج ٧٠ باب ١٣٠في الكبر

ومن الأمور التي لا يلتفت إليها المؤمنون والتي تحفز الاستكبار والأنانية هي طموح النفس إلى ما فوقها في بعض المراتب الرئاسية، فقد روي عن الصادق (عليه السلام) (إياك أن تطمع نفسك إلى ما فوقك فقد قال الله تعالى ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾)[١]، فكل هذه الأمور أو بعضها يقع في داخل النفوس المؤمنة ولا يلتفتون إليها مما يظهر أثرها على عبادتهم وقد ورد في الدعاء (وَلَا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ) ثم قال (عليه السلام) (وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلَا تُفْسِدْ عِبَادَتِي)[٢] وهو ذكر لعلاج هذا الأمر، يقطع الحلقة الأولى فيه وهي النظر .

وظهر إلى هنا أن أهم الأسباب التي تميت الروح العبادية وتُحصل الإدبار للمؤمن هي استكبار النفس من طرق قلما يلتفت إليها وطموح النفس لنيل ما فوقها حتى وان كانت درجة رفيعة نسبيا، وعلاجها قطع النظر وتدريب النفس على عدم مد العين والالتفات إلى طرق الكبر و علاجها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣] .

**ثانيا:** ومن الأسباب التي تودي إلى انخفاض عبادتنا هو الخزين الثقافي والعلمي والذي يجعل الإنسان المؤمن يستند إليه أحيانا في فهم العلاقة مع خالقه والتعاطي مع المجردات والفوقانيات بالطريقة التي يتعاطى عقله مع

---

١ - مشكاة الأنوار ص٦٦ الفصل الثالث في آداب الشيعة

٢ - الصحيفة السجادية من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق .

٣ - غافر ٦٠

موجوداته الحياتية أو قضاياه الذهنية، وهذا الأمر قد لا يقتصر على عامة المؤمنين بل يتجاوز إلى أصحاب العلم منهم فتصنع في أذهانهم أمثالا لتلك الحقائق منتزعة من واقعه الخارجي لا شعوريا وهذه الأمثال لا تعطي صورة كاملة أو مقاربة لواقع تلك الحقائق المكنونة في الأدعية أو القرآن أو الصلاة أو الصوم ...الخ، قال تعالى ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً﴾[1] ثم ذكر تبارك وتعالى عجز هذا الطريق المستند إلى خزيننا الثقافي والعلمي الموهوم قال تعالى ﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] ثم نسب تعالى ضرب المثل له دون غيره ﴿وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾[3] .

وضرب المثل منه تعالى هو حالة تظهر في العبد تذكره وتثير مكنونات عقله قال تعالى ﴿وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4] وقال تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[5] ثم إن علة ذلك الضرب خشية في القلب وخشوعا في النفس ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[6] قَالَ الصَّادِقُ (عليه السلام) ( الْخَشْيَةُ مِيرَاثُ الْعِلْمِ

١ - الإسراء٤٨
٢ - النحل٧٤
٣ - النور ٣٥
٤ - إبراهيم٢٥
٥ - العنكبوت٤٣
٦ - فاطر٢٨

وَالْعِلْمُ شُعَاعُ الْمَعْرِفَةِ وَقَلْبُ الْإِيمَانِ وَمَنْ حُرِمَ الْخَشْيَةَ لَا يَكُونُ عَالِماً وَإِنْ شَقَّ الشَّعْرَ فِي مُتَشَابِهَاتِ الْعِلْمِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[1] .

وهذا هو الأدب الإلهي الذي يظهر لو رفعت الأسباب المانعة له من الكبر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ( إِنَّ أَعْظَمَ الْكِبْرِ غَمْصُ الْخَلْقِ وَسَفَهُ الْحَقِّ قَالَ قُلْتُ وَمَا غَمْصُ الْخَلْقِ وَسَفَهُ الْحَقِّ قَالَ يَجْهَلُ الْحَقَّ وَيَطْعُنُ عَلَى أَهْلِهِ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ نَازَعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رِدَاءَهُ)[2] .

والاستناد على الخزين الثقافي الانتزاعي في التعاطي مع تلك الحقائق وبالتالي تبرز روح العبادة وتشرق في النفوس الإيمانية .

و الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

---

١ - بحار الأنوار ج٢ ص ٢٣٢ باب ١١

٢ - الكافي ج٢ ص ٥٠٠ باب الكبر.

# القاعدة الرابعة

# لا انفكاك ولا انفصال

# بين البعد المعنوي والرسالي

# لا انفكاك ولا انفصال بين البعد المعنوي والرسالي

نشأت في بعض الأوساط الإيمانية شبهة مفادها إن البناء والإعداد المعنوي يضاد البناء الرسالي، وإن الانشغال بأحدهما مضيعة للآخر، وإن إمكان الجمع بينهما غير متحقق، وإن حالات إيمانية مهمة تُسلب بعد الدخول في العمل الرسالي، وإن خمولا وتثاقلا يعرض على من يعيش حالات الصفاء القلبي وعالم المعنى فيما لو كلف في مهمة اجتماعية أو عمل رسالي.

فما حقيقة هذه الشبهة ؟ وكيف يمكن حلها؟

**معنى الاصطلاحين :**

المرتكز عند المتشرعة إن البناء الروحي هو **تزكية النفس وتهذيبها وطهارة القلب وهداه والعروج في سماء الأخلاق العالية**، والبناء الرسالي هو **حركية الأفعال والتوجهات لحمل الرسالة الإلهية وهداية عباد الله** .

وهذه التعاريف ليست تعاريفا منطقية بقدر ما هي تعاريف بيانية منتزعة من الفهم الغالب على هذين المفهومين في أذهان المتشرعة، ولو التزمنا بالألفاظ (تزكية النفس) و(الرسالية) ثم حاولنا فهمها بما ورد عنهما في مصادر التشريع فقد يظهر لها معان أخرى تساعدنا في فهم الإشكال وحله.

**وجوابه:**

قد وردت لفظة الرسالة في عدة موارد في القران الكريم وبعدة معاني:

فقد وردت بأنها **النصيحة** ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١] وبأنها **النصح والتبليغ** ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٢] وإنها **الخشية** ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ﴾[٣] وإنها **اصطفاء** ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي ﴾[٤] وإنها **جعل من الله تعالى لعلمه بدقائق الأمور**﴿ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[٥] ﴿ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٦] وان الحامل لهذه الرسالة يسمى رسولا ويختلف الرسل فيما بينهم بنوعية الرسالة وسعتها وزمانها وحدودها وعمقها وهم مفضَّلون عند من بعثهم تبارك وتعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٧] ثم إن كيفية وعلة العمل الرسالي هي **البشارة والإنذار** كي تسري حجة الله في خلقه ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ

١ - الأعراف ٦٢
٢ - الأعراف٦٨
٣ - الأحزاب٣٩
٤ - الأعراف١٤٤
٥ - الأنعام١٢٤
٦ - آل عمران١٧٩
٧ - البقرة٢٥٣

لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[١] ومهمة الرسل هي **إظهار الحقائق والبينات** ﴿جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾[٢] .

فظهر إلى هنا أن الرسالية هي **(التبليغ والحجة بأمانة لعباد الله تبشيرا وإنذارا لإتمام الحجة عليهم من قبل خلق اصطفاهم الله تعالى واجتباهم واعدهم لهذه المهمة فكانوا له خاشعين).**

أما البناء الروحي وتزكية النفس وطهارة القلب والمعاني المحتملة لها قرآنيا :

التزكية بمعنى **إرجاع الأمور إليه تبارك وتعالى** ﴿وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٣] ومحلها النفس والتزكية بمعنى **الذكر وأداء الصلاة** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ❖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[٤] والتزكية هي **التقوى الخالصة والتي هي سر بين العبد وربه** ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[٥] والتزكية **هي الصدقة بالمال** ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾[٦] . وقد يكون محله القلب فهم الدائبون على النجاح في امتحان التقوى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٧]

---

١ - النساء١٦٥

٢ - الأعراف١٠١

٣ - فاطر١٨

٤ -الأعلى الآيات (١٤ ـ ١٥)

٥ -النجم٣٢

٦ -التوبة١٠٣

٧ - الحجرات٣

وهم أصحاب القلوب الخاشعة لذكر الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[١] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢] وهم أصحاب القلوب المطمئنة الثابتة ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[٣] ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾[٤] فالإعداد المعنوي هو **(سمو باطن الإنسان النفسي والقلبي واتصافه بصفات تؤهله للدخول في عالم المعنى كلقاء الله والقرب من عالم القدس) .**

## العلاقة بين البعدين الرسالي والمعنوي :

والشبهة طرحت بصعوبة الجمع بين العالمين والبعدين والنفور من احدهما للأخر أو النفور من البعد الرسالي خاصة إلى البعد المعنوي وعلى كل حال فان الأدب القرآني يعطي تصورا لشكل العلاقة بينهما قال تعالى ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾[٥] ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾[٦].

وهذه العلاقة لها أربع درجات :

---

١ -الحديد١٦

٢ -الأنفال٢

٣ -آل عمران٨

٤ - المائدة١١٣

٥ - البقرة١٥١

٦ - البقرة ١٢٩

**الدرجة الأولى :** عدم التفريق بينهما ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ﴾[1] بتقريب إن الله إشارة إلى البعد المعنوي ورسله إشارة إلى البعد الحركي وبتقريب ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[2] .

**الدرجة الثانية :** اشتراكهما بمبدأ واحد وأصل واحد وهو عالم المنة والفضل قال تعالى ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[3] وقال تعالى ﴿فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾[4] قال تعالى ﴿وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[5] وقال تعالى ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾[6] وقال تعالى ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[7] .

**الدرجة الثالثة :** اندماجهما معا في الظهور ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾[8] ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾[9] .

---

١ - النساء ١٥٠
٢ - - يونس ٤٥
٣ - النور ٢١
٤ - النساء٩٥
٥ - النساء٩٥
٦ - الفتح٢٩
٧ - الجمعة١٠
٨ - الأعراف ١٤٤
٩ - الأحزاب٣٩

**الدرجة الرابعة :** ظهور احدهما من الآخر ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ﴾[3] ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[4] فالنتيجة الحاصلة كحل للشبهة هو رفع حالة التوهم المنعقدة في النفس بانفكاكها بعد تصريح القران بالارتباط التدريجي بينهما لدرجة ظهور احدهما من الآخر .

بقي الإشارة إلى فروع مترتبة على النتائج التي وصلنا إليها ومنها :

## ما هي العُزلة ؟

قد يقول قائل إذن ما معنى العُزلة المذكورة في الروايات الشريفة التي ذكرت في كتب الأخلاق ومنها (مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا وَصِيٍّ إِلَّا وَاخْتَارَ الْعُزْلَةَ فِي زَمَانِه إِمَّا فِي ابْتِدَائِه وَإِمَّا فِي انْتِهَائِه)[5] فكيف تنسجم هذه الروايات مع ما وصلتم إليه من أن الخير الكثير في العمل الرسالي والكون بين الخلق وهذه الروايات أمرتنا بالعزلة؟

---

١ - البقرة١٢٩

٢ - الصف ٥

٣ - المؤمنون٦٣

٤ - المنافقون٣

٥ - بحار الأنوار ج ٦٧ باب ٤٩ في العزلة ص

**وجوابه :**

إن العزلة لها أكثر من معنى فمنها عزلة مكانية، وعزلة زمانية، ومنها عزلة فكرية مفاهيمية، وعزلة قلبية، وليس المراد في هذه الروايات أن يضع الإنسان نفسه في صومعة وينعزل كأدب أخلاقي بل هي عزلة في المفاهيم التي يحملها المؤمن وعزلة في البعد المعنوي وهذا المعنى واضح في الآية الشريفة بعد التدبر فيها ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾[1] فقد قال تعالى ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾ ويظهر منه عدم مؤثرية الناس عليهم أثناء التبليغ .

ولقد ذكر القران الكريم عدة حالات من العزلة الايجابية حصلت للأنبياء والأولياء كنبي الله زكريا (عليه السلام) فقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً﴾[2] وقد ذكر الله تعالى إن هذه العزلة لم تكن الابتعاد عن العباد بل قال في آية أخرى ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾[3]، فحصل التكليم في العزلة إلّا أنه كان رمزا بما يناسب حال العزلة فقال تعالى ﴿إِلاَّ رَمْزاً﴾ .

---

١ - الأحزاب٣٩

٢ - مريم ١٠

٣ - مريم ٢٦

وحصلت مع النبي موسى (عليه السلام) للمناجاة فقال تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[1] إلا أن هذه العزلة لم يكن فيها ترك للعمل الرسالي بل انه (عليه السلام) خلف فيهم أخاه هارون فقال تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[2] .

وذكر تعالى كذلك حصول العزلة للسيدة مريم (عليها السلام) فقال تعالى ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[3] وهذه العزلة الكلامية كانت من اجل أثبات الولادة الإعجازية للسيد المسيح (عليه السلام)، وبعد أن رجعت إلى قومها فكلمتهم أثناء العزلة عن طريق الإشارة فقال تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾[4] فكان كلامه المعلول لسكوتها وعزلتها الكلامية نصرا وفتحا لنهجها ورسالتها .

## العزلة الزمانية والمكانية الايجابية :

بقي الإشارة إلى انه يوجد معنى ايجابي للعزلة المكانية والزمانية وهي العزلة التي لها أوقات محددة قال تعالى ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي

---

١ - آل عمران٤١

٢ - الأعراف١٤٢

٣ - مريم ٢٦

٤ - مريم ٢٩

الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾[١] ويمكن أن يُفهم من ﴿أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ﴾ أي أن تنعزل عنهم جسديا ومكانيا ﴿فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ فتكون عُزلة مكانية وزمانية ايجابية وهي عُزلة من اجل إعادة الترتيب وتنظيم النفس إعداداً لإظهار مراتب ودرجات مؤثرة في معادلة العمل الرسالي .

## عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ :

فماذا تقول في معنى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢] . فقد يقول القائل إن القران يقول (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) فكيف تقول نحتاج إلى كلا البعدين والقرآن يقول بالبعد الواحد بقوله (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ)؟

وجوابه :

إن قوله تعالى (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) ليس معناه الانشغال بها ونسيان الآخرين بقرينة قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم)[٣] فالآية أعطت رأس الخيط الذي يبدأ به الإنسان فيبدأ بنفسه وينطلق في العمل الرسالي بعد ملاحظة ما ذكرته الآية من نتائج هذه الخطوة وهذه المسكة التي تظهر وضوح الارتباط بينهما (لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) .

---

١ - الأنعام ٣٥

٢ - المائدة ١٠٥

٣ - غرر الحكم و درر الكلم ص٣٣١ الحكمة ٩٥٤٠

## العمل الرسالي وزوال الحالات الإيمانية :

وقد يقول قائل إن الكثير من المؤمنين العاملين تزول حالاتهم الإيمانية ويفقدون الصفاء القلبي عند دخولهم في العمل الرسالي فلكي نحافظ على الحالات الإيمانية والصفاء القلبي لا ندخل في معترك العمل الرسالي ونقتصر على الجانب الروحي و إعداده؟

وجوابه :

إن تبدل بعض الحالات الإيمانية عند الدخول في العمل الرسالي أمراً طبيعياً وكان يحصل حتى عند الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) قال تعالى ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ❖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ❖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[١] فطلب تعالى الاستغفار والتسبيح له رغم حصول النصر والفتح المبين وما ذلك إلا لشرفية المطلوب على النتيجة الواقعة فقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان إذا اشتدت وكثرت حالاته الرسالية نادى (أَرِحْنَا يَا بِلَالُ)[٢] بمعنى يا بلال أذن للصلاة وأخرجنا من كل هذا، وهذا بحسب الطبيعة البشرية وهو غير موجود عنده (صلى الله عليه وآله وسلم) في عالم أخر . ولعلم الله تعالى بهذا الأمر المركوز في الطبيعة البشرية جعل تبارك وتعالى محطات لترتيب الحال عند الإنسان مثلا صلاة الظهرين ونوافلهما ٢٤ ركعة وهو عدد كبير من الركعات لكنه جُعل

---

١ - النصر الآيات (١ إلى ٣ )

٢ - بحار الأنوار ج ٧٩ باب فضل الصلاة ص١٣١

بإزاء شدة الحالات الرسالية التي يمر بها العامل قبلهما وهي تستغرق ساعة تقريبا وبها تزول كل حالات السلبية ويرجع الإنسان إلى حالاته الطبيعية من الصفاء الإيماني، ثم صلاة المغرب والعشاءين ونوافلهما وعدد الركعات اقل لقلة التحديات في فترة ما قبلهما ثم نافلة الليل والمناجاة ليلا وترتيل القران ونافلة الفجر وصلاة الفجر كل هذه الممارسات العبادية وضعت في قبال التحدي الرسالي، فلا يبقى اثر لزوال الحالات الإيمانية و لا يبقى عذر لترك العمل الرسالي والاكتفاء بالجانب المعنوي . قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[1] فالآية تنظم العلاقة بين البعدين المعنوي والرسالي من خلال تقسيم اليوم إلى قسمين الأول الليل فهو قسم خاص بالجانب المعنوي وليس الرسالي خصوصا النصف الآخر منه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ والنصف الآخر هو النهار للعمل الرسالي ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ فالمسالة ليس كما يفهمها البعض بان العلاقة بينهما طولية بمعنى أن تنعزل لسنوات للإعداد الروحي ثم تبدأ بالعمل الرسالي بل العلاقة عرضية من خلال تقسيم نفس اليوم بين البعدين كما أشارت الآية

---

١ - المزمل الآيات (من ١ إلى ٧ )

الشريفة فهما يسيران معا في اليوم الواحد من خلال الإعداد ليلاً للعمل نهاراً .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

# القاعدة الخامسة

# الفرقان حقيقة مجردة للقران

# الفرقان حقيقة مجردة للقران

ورد عنهم (عليهم السلام) أن (لِكُلِّ شَيْءٍ رَبِيعٌ وَ رَبِيعُ الْقُرْآنِ شَهْرُ رَمَضَانَ)[1] ويثار تساؤل من بعض المؤمنين فحواه : ما معنى أن شهر رمضان ربيع القران؟ وكيف نحصل على هذا الربيع؟ وهل المطلوب في شهر رمضان أن نكمل القرآن أم المطلوب هو التدبر في آياته؟ ثم كيف نقرأه وما هي أوقات القراءة؟ ثم ما هي النتيجة المُتحصلة بعد كل هذا؟ وكيف ننتفع من النتيجة النهائية لما بعد شهر رمضان؟

## ما هي نظرتنا للقرآن العظيم؟

وهذا السؤال هو جواب بشكل سؤال للأسئلة المطروحة .

(ما هي نظرتنا للقرآن العظيم) وهو سؤال مهم لما يتوقف من أجوبة باقي الأسئلة والنفس تقبل على المعروف والمعلوم، وتنفر من المجهول، وتنفعل مع عظائم الأمور، ويقل انفعالها بتقليل قدرها فيها ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[2] والأعجمية إشارة إلى عدم وضوح الرؤية والنظرة تجاه هذا الكتاب العظيم مما يؤدي إلى غلق آياته وبالتالي عدم الاستفادة منه .

---

١ - بحار الأنوار ج٨٩ ص ١٤٢ باب آداب القراءة

٢ - فصلت٤٤

## كيف يفترض أن تكون نظرتنا تجاه القرآن ؟

أذن كيف يفترض أن تكون نظرتنا تجاهه، فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتاً لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُوداً مِنْكُمْ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ فَقَالُوا وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ) وقد ورد عنهم (أي الجن) في كتاب الله تعالى أنهم قالوا ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾[١] فما قالوه إشارة إلى عظمة ما سمعوه فربما هذا التعظيم جعلهم أكثر استجابة .

## إذن كيف نعظم القرآن في نفوسنا؟

توجد عدة طرق لتحصيل عظمة القران في نفوسنا :

**منها: التدبر في الآيات التي وصفت عظمة القران**، يحفز هذا الأمر في النفس قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٢] أو قوله تعالى ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾[٣] أو قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[٤] أو قوله تعالى

---

١ - الجن ١

٢ - الحجر ٨٧

٣ - الإسراء ٧٨

٤ - الإسراء ٨٨

تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1] أو قوله تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2] أو قوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[3] أو قوله تعالى ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[4] إذن هذه الأوصاف (عَظِيمٌ، مَجِيدٌ، مَشْهُودٌ، سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ) تجعل النفس تعظم هذا الكتاب، والنفس الإنسانية لو عظمت شيئا فتحت في داخلها بوابات لاستقباله قال تعالى ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[5] والآية أشارت إلى معنى لطيف وهو أن النفس تتوسع بتوسع ما فيها، فلو دخل فيها العظيم توسعت لاستقبال الأمور العظيمة وقال تعالى ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[6] ودلت عليه بعض الروايات منها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لو أذن الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأشرح في شرح الفاتحة حتى يبلغ

---

١ -الرعد٣١

٢ -الحشر٢١

٣ -ق١

٤ -الكهف١٠٩

٥ - الأنعام١٥٢

٦ -الطارق٤

أربعين وقرا)[١] و(إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُه)[٢] .

**ومنها : الكسب الذي تحصل عليه النفس لو ارتبطت بالقران** قال تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٣] باعتبار أن النفس لو شعرت باكتسابها لمالت إلى منبع الكسب الذي يُحصل فيه الهداية ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ، هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ **وإنه** يجيب عن جميع الأسئلة بحسب مراتب السائل ﴿لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾[٤] **وإنه** يبين الأشياء بإشراقاته فلا يفارقه الإنسان إلا بزيادة في هدى أو نقصان في ضلالة، وإنه يعطي الحكمة والعلم لان منبعه العلم والحكمة فيزداد الإنسان حكمة كلما كان قريبا منه ومندمجا معه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[٥] **وإنه** أمان من تأثير النفس بالنفوس الأخرى ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾[٦] إن الذين يعشقون

---

١ -الطرائف ج١ ص ١٣٦

٢ - بحار الأنوار ج٢ ص ٤١٩ باب ٣٤

٣ - البقرة ٢٨٦

٤ - المائدة١٠١

٥ - النمل٦

٦ - الإسراء٤٦

الذكر ويطلبون طرق الوصول إليه فالقران يوفر لهم ما يريدون ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[1] .

**ومنها :** إن الذي يلتزم به ويعطي العمر لأجله يتولى الله تعالى كل شؤونه ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[2] .

**ومنها : التماس الغرائب** قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) (أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ)[3] إذ أن الغرائب مما تنفتح به للنفس آفاق واسعة وتُسرع الكمال وهو من الأمور المهمة، إذ أن الغريب في القران هو خط سريع للحركة والوصول . وهذه بعض الفوائد وما خفي أعظم !!

## ما معنى شهر رمضان ربيع القرآن :

قال تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[4] إن الأزمان وان ظهرت عندنا على إنها بُعْدٌ تُستشعر حركته وتغيّره إلا أنها في عالم الأمر والواقع لها حقائق لا ندركها لولا إدراك القرآن لها كقوله تعالى ﴿يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[5] أو

---

١ – ص١
٢ – القصص ٨٥
٣ – بحار الأنوار ج٨٩ باب٩ ص٧٤
٤ – البقرة ١٨٥
٥ – الحج٤٧

قوله تعالى ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1] ويذكر القران إن الأزمان هي تنزلات لأسماء إلهية بعضها أظهرها القرآن والكثير منها مجهول لدينا، والحقيقة الأمرية لبُعد شهر رمضان زمانا هي نزول القران ـ أي مظهريته كبعد زمني ـ فالموجود حقيقة هو القران ولو رجعنا للحديث، نجد أن لفظ (ربيع) هو جزء من الزمن، وشهر رمضان جزء من الزمن، فهما زمن واحد إذن هما واحد، وكأن القران بحقيقته مندمج مع الكتاب الإلهي، وهو مندمج مع الزمن وكمال ظهوره وحكومته وهيمنته هو (شهر رمضان)، فقد ورد عن الصَّادِقُ (عليه السلام) (لَقَدْ تَجَلَّى اللّهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)[2] وورد (لا تسبّوا الدهر فإنه هو الله)[3] وبالجمع بينهما يظهر معنى ما ذكرناه، وانطلاقا من هذه الفلسفة والحكمة يمكن معرفة ما معنى (أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ) و( نَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَة) فالنَفَس هو نَفَس والنوم هو نوم، لكن في شهر رمضان الذي هو مظهر لحقيقة النزول القرآني الذي يمتلك قوة الصرف للموجودات إلى حقائقها فينصرف النَفَس إلى حقيقته وهو التسبيح ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[4] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[5] فظهر إلى هنا أن معنى الربيع هو ظهور حكومته

---

١ - القدر٣

٢ - بحار الأنوار ج٨٩ باب٩ ص٧٤

٣ - بحار الأنوار ج٥٧ باب ٣٠ ص ١٠

٤ - الكهف٥٤

٥ - الإسراء٨٩

وهيمنته وقوة الصرف المكنونة فيه لتصرف الحقائق من حال إلى حال، والتصريف هو سلخ وخلع الحقيقة من ماهيتها الصورية إلى ماهية أخرى أمرية واقعية وتفريغها عن قيودها وحدودها فيبين حقيقتها الماورائية لذا قال تعالى ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[1] ... فتدبر .

لذا ورد (النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا)[2] وقد ورد من كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[3] وقد ورد في أدعية الإمام السجاد ( ٠ ) (فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَاماً، وَحَجَرَ فِيهِ الْمَطَاعِمَ وَالْمَشَارِبَ إِكْرَاما وَجَعَلَ لَهُ وَقْتاً بَيِّناً لَا يُجِيزُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْه)[4] .

## كيف نحصل على هذا الربيع القرآني :

لكي نجيب على هذه الأسئلة، كيف نحصل على هذا الربيع القرآني؟ وهل المطلوب من القراءة أن نكمل قراءة القران أم القراءة التدبرية؟ ثم كيف نقرأه وما هي النتيجة المُتحصلة؟ وما هي أفضل أوقات القراءة؟

---

١ - البقرة١٨٥

٢ - بحار الأنوار ج٤ ص٢٨٣ باب ٥- نفي الرؤية

٣ - بحار الأنوار ج ٦٦ ص٣٤١ باب ٣٠

٤ - الصحيفة السجادية دعائه (عليه السلام) في استقبال شهر رمضان

قال تعالى ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[١] وقال (عليه السلام) (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وَشَهْرَ الْإِسْلَامِ، وشَهْرَ الطَّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمْحِيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ)[٢] إذن الفكرة في فهم القرآن هي المس والطهارة وهما متلازمان، فقد يحصل المس بجزء لوجود الطهارة، فالفكرة هي أن القران له درجات ومراتب والإنسان له درجات ومراتب، فقد ورد عن الصادق (عليه السلام) أنه قال ( كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ وَاللَّطَائِفِ وَالْحَقَائِقِ فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِ وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ وَاللَّطَائِفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ)[٣] وقال في الإنسان ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٥] ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٧] ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ

---

١ - الواقعة الآيات (٧٨ - ٧٩ )
٢ - الصحيفة السجادية دعائه (عليه السلام) في استقبال شهر رمضان
٣ - بحار الأنوار ج٧٥ ص ١٦٢ باب ٢٤
٤ - الانفطار٨
٥ - التين ٤
٦ - ق١٥
٧ - التين ٥

فِيهِ﴾[١] وقوله تعالى ﴿وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ ﴾[٢] ثم أن لمس هذه العوالم بالطهارة والانتقال في هذه العوالم يحتاج إلى فتح أقفال ذلك العالم، ولا يفتح القفل إلا بالتدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٣] فقد ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) (وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ فِيهَا)[٤] فإذا فتحت هذه الأقفال حصلت صفات في النفس بحسبها وكل قفل يفتح بالتدبر والتدبر بالترديد يزيد القُرب والمنزلة عند الله تعالى وهي من اشد مراتب المعرفة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطاهرين .

---

١ - يونس٦١

٢ - النحل٧١

٣ -محمد ٢٤

٤ - بحار الأنوار ج٧٥ ص باب ١٦

# القاعدة السادسة

## تَخْلِيصُ النِّيَّةِ مِنَ الْفَسَادِ

## أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِنْ طُولِ الْجِهَاد

# تَخْلِيصُ النِّيَّةِ مِنَ الْفَسَادِ أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِنْ طُولِ الْجِهَاد

قيل إن روح العبادة الإخلاص[١]، وانه سر بين العبد وربه، فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مُخْبِراً عَنْ جَبْرَئِيلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ (الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِي اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي)[٢] وإنه شديد على النفس وصعب التحصيل، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (تَخْلِيصُ النِّيَّةِ مِنَ الْفَسَادِ أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِنْ طُولِ الْجِهَاد)[٣] فكيف نخلص النية من الفساد؟ ولماذا هي شديدة بالصورة التي وصفها الحديث؟ ثم ما هي أبعاد تخليص النية؟ وكيف نتجاوز هذه الصعوبات كيما يُعطي العمل صورته الكاملة؟

## لماذا طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) تخليص النية من الفساد ؟

إن تخليص النية من الفساد يعطي صحة التوجهات، فالإخلاص هو أن يتحرك الإنسان المؤمن بحركة تتلاءم مع الحقيقة، فكأن عدم الإخلاص هو حركة قد لا تكون غايتها مصيبة للحقيقة إذ أن الوجود هو محلا لاندكاك القوانين وبعض تلك القوانين ظاهرة لنا وبعضها خفي عنا فتخليص النية من

---

١ - بحار الأنوار ج٦٧ ص ٩٨

٢ - بحار الأنوار ج٦٧ ص ١٦٥ باب الإخلاص

٣ - بحار الأنوار ج٧٤ ص٤١٧ باب خطب أمير المؤمنين عليه السلام

الفساد هو حركة بقانون خفي يحرك أبعاد الإنسان ضمن قوانين الحقيقة لتوصل الإنسان إلى أسمى الغايات قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾[١] فالكتاب إشارة لقوانين الحقيقة ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾[٢] ثم إن الإخلاص بعد أن يُدخل الإنسان في قانون الحقيقة يعزله عن الدخول في قوانين أخرى، لذلك تظهر النتائج فيه سريعة وتامة وكاملة قال تعالى ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[٣]، بل إن بمجرد دخول الأبعاد الإنسانية لعالم الحقيقة يصنع منه إنسانا صلبا شديدا، ولا اقصد بالصلابة القوة الظاهرية أو تلبّسه بمظاهر الجبروت، بل قوة وقائية عجيبة فلا يتأثر بفكر فاسد أو نظرة فاسدة أو حركة فاسدة أو طروء بعض المتغيرات عليه إذ انه صار في عالم غير العالم الحاوي والضام لهذه الصور فلا معنى لهذا التأثر، قال تعالى ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[٤] ومنه يظهر أيضا معنى قوله تعالى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٥] .

---

١ - الزمر٢

٢ - الحج٧٠

٣ - البقرة١٣٩

٤ - يوسف٢٤

٥ - ص ٨٢

ولأن الإخلاص يقع في عالم خاص له قوانينه الخاصة، فالذنب لا يأخذ مأخذه في عالم الإخلاص لأنه يحصن الإنسان من آثاره لو مسهم طائف من الشيطان حماهم الإخلاص وأعاذهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[١] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢] وهذه العوالم التي يعشقها هؤلاء المخلصون لها درجة من المعرفة تختلف عن باقي المعارف فمعرفتهم ليست تحصيلية ولا اكتسابية قال تعالى ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣].

## كيف نحقق الإخلاص :

**وجوابه:**

سنذكر أفكارا عامة وأخرى تفصيلية لتحصيله من خلال توفير مقدماته وهي الأجواء العامة فان حصولها كما سنعلم يؤثر في تحصيله قال تعالى ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٤] فالحال وهو الدعاء والمكان وهو المسجد يؤثر في تحصيله .

---

١ - الصافات ٧٣

٢ - الصافات ٤٠

٣ - الصافات ١٥٩

٤ - الأعراف ٢٩

ومنها : الخوف وانعدام الأسباب الطبيعية ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١] ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً﴾[٢] فسقوط الأسباب هو سبب تحصيل الإخلاص والإخلاص من التوحيد ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٣] وتخليص النية كما ذكرناه يعطي المعرفة، وسورة الإخلاص تحصل على بعض الدرجات من المعرفة التي لا باس بذكرها فقد قال الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤] وهو أن نفهم انه تبارك وتعالى له نسبة مع كل جزء من العالم وهذا الإدراك في نسبته تعالى للعالم تظهر بأسباب كالسقوط والحركة والسكون والطعام والشراب والصحة والمرض وتزكية الآخرين وتجريحهم وقدحهم له والعلم الاكتسابي لرفع الجهل، والسؤال لحصول الإجابة والبرهان لتحصيل النتيجة القطعية، والمنطق والسكوت ...الخ، فان الركون لها مجردة هو خلاف الإخلاص لكن لو تأملنا في الآية ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾[٥] أي إظهار الحياة لها وإظهار نسبتها له تبارك وتعالى هو الخطوة الأولى لتحصيل تخليص النية ثم أن هذه الخطوة وحدها لا تكفي ونحتاج إلى خطوة ثانية وهو قوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٦] أو قوله تعالى

---

١ - العنكبوت٦٥

٢ - يوسف ٨٠

٣ - غافر ٦٥

٤ - الإخلاص ١

٥ - آل عمران ٢

٦ -الإخلاص ٢

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[١] وهو أن ننظر إلى نسبة تلك الأسباب له طريقا لذوبانها وذوبان ماهيتها فإذا تحقق هذا تم الأمر لأن ندعوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٢] .

ثم أن هذه الخطوات ليس من السهل تحصيلها لان الإنسان بطبيعته شديد الإنشداد والانجذاب لقوة المتغيرات الحاصلة له وخاصة العاملين لكثرة الجزئيات وقوة تأثيرها في النفوس قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ وَالدُّعَاءَ وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِمَا تَرَى عَيْنَاهُ وَلَمْ يَنْسَ ذِكْرَ اللَّهِ بِمَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ وَلَمْ يَحْزُنْ صَدْرَهُ بِمَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ)[٣] فالقنوات عمليا ثلاث ﴿السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾[٤] ولا نريد الكلام بها تفصيلا إلا بذكر بعض الملاحظات عليها، علما أن السمع أولى القنوات وأشدها تأثيرا :

**أولا:** إن السمع والبصر غير مملوكين للعبد بل هما ملك لله تعالى ﴿لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٥] وقال تعالى ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ﴾[٦] .

---

١ - غافر ٦٥

٢ -نفس الآية السابقة

٣ -وسائل الشيعة ج١ ص٤٦

٤ - الإسراء ٣٦

٥ -ق ٣٧

٦ - يونس ٣١

**ثانيا:** إن السمع يؤثر على السلوكيات المستقبلية ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾[١] .

**ثالثا:** إن السمع مؤثر جدا في باطن الإنسان ويخترقه بسرعة شديدة ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ﴾[٢] ويدل عليه قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم ﴾[٣] .

**رابعا:** أن التأثير الذي يظهره السمع ينعكس على الظاهر ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾[٤] . فإذا تنظم السمع وسُيطر عليه فانه يؤثر بشدة على تخليص النية من الفساد قال تعالى ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[٥] فإذا تحصل هذا الأمر ظهرت نشأة أخرى للإنسان من خلال سمعه وهي طريق لظهور نشأة أخرى، وهذه النشأة ذكرها تعالى في قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[٦] فإذا انتفى علمه من خلال سمعه وانتفى بصره وانتفى ما يلقى في علمه داخليا ظهرت هذه النشأة

---

١ - يوسف٣١

٢ - النساء١٤٠

٣ - الأنعام٤٦

٤ - المائدة٨٣

٥ -السجدة١٢

٦ -المؤمنون٧٨

بطريقة أخرى وهي أن السمع والبصر والأفئدة قنوات لعدم العلم قال تعالى ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] وهنا يظهر معنى الحديث القائل أن في الجنة مراتب مقدرة على نحو (بِمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)[2] .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

١ - الواقعة ٦١

٢ - بحار الأنوار ج٨ ص ٣٢٤

# القاعدة السابعة

# حقيقة العداء للمؤمنين

# جعل إلهي

# حقيقة العداء للمؤمنين جعل الهي

لا يمتلك بعض المؤمنين البصيرة في تحديد العدو، وعدم امتلاكه لتلك البصيرة يسبب في حصول مشاكل تكاملية له، وخلق أجواء ممهدة لتحصيل فشل مستقبلي، فيظهر من هذا ـ أي عدم امتلاك البصيرة ـ العلة التامة في حبس النصر عن بعض المؤمنين رغم وجود كثير من السلوكيات المنضبطة في حياتهم من أداء لأوقات الصلاة والتزام بشريعة أو التزام بقوة إلهية حقة كالدعاء والتوكل وحسن الظن بالله تعالى . لكن لو ابتلي بعدو لله تعالى وهذا العدو كان ظاهره حسن السلوك مع ذلك المؤمن قريب له نفسيا ويحصل بينهما احترام متبادل وكلمات متبادلة فهل هذا الموقف مرضي له ويرجع بالكمال؟ ويزداد هذا الموقف تعقيدا فيما لو كان العدو ذا سلطة أو سطوة وأمن المؤمن سطوته وسلطانه وعقابه؟

والكلام يقع في جهات :

**الجهة الأولى :**

**ما حقيقة العداء للمؤمنين ؟**

إن العداء لا يتصور أن يعرض على حياة الإنسان المؤمن ويطرأ عليها جزافا وبلا تخطيط أو إعداد مسبق قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ

شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾[1] والنقطة المهمة أن العداء جعل الهي يُعطى للنبي، أي من يملك جهة إيحائية علوية إنزالية فان هذه الجهة تُجعَل لها جهة أخرى اعتراضية، وقد لا تُدرك، وطبيعتها خلق حالة تكاملية انتزاعية من الحركة العكسية، إذ أن الإيحاء لا يتحقق فقط بإنزال الرحمة على محل صفاء ونقاء القلب بل يحصل بأحسن حالاته وأكملها في حالة عرقلة ومعاكسة هذا الأمر . فسيطرة الإنسان على قلبه مع قوة ما يرد عليه وشدته هو الطريق الأتم والأكمل إذ أن قوة صفاء ما يرد وقوة درجته وقوة تجرده لا يقع إلا بجهة اعتراضية عكسية، فهي التي تعطي المكنونات النادرة والمهمة . وتلك الجواهر لا يصل إليها إلا من جعل الله له عدوا، لذا قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[2] .

ويؤكد هذه الفلسفة قوله تعالى ﴿اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[3] فكما نعلم أن للإنسان حركتان احدهما نزولية والأخرى صعودية والآية ذكرت النزولية منهما، أما الصعودية فهي تتم باتخاذ بعضكم لبعض عدو . وقوة العداء الظاهرة اتجاه الحقائق العالية هي في نفس الوقت قوة إنزال تلك الحقائق على القلب ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾[4] .

---

١ - الأنعام ١١٢

٢ - الأنعام ١١٢

٣ - البقرة٣٦

٤ - البقرة ٩٧

ثم إن نفس القوة المُنَزِّلة لتلك الحقائق على القلوب والتي ظهرت من قوة العداء في بعض القلوب هي في نفس الوقت تدور على منبع تولدها فتظهر بشكل عداء مباشر لهم ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[1] ثم يرجع العداء مرة أخرى وتظهر قوة نزول الحقائق فلا يبقى حقيقة إلا نزولها ولا يظهر شيء إلا هي، قال تعالى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[2] ويظهر معنى لطيف لقول الله تعالى ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[3] ويظهر معنى قوله تعالى ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] فكان العداء في حقيقته نصر ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[5] .

فظهر إلى هنا أن العداء للمؤمنين يقع بجعل الهي وهذا الجعل ينتهي بحقيقته إلى إنشاء وإظهار الحقائق العالية، وهذه بدورها تظهر عداءا لهم من الله تعالى فيبادلونه بعداء وهو الحقائق، ثم لا يظهر من هذا كله سوى الحقائق الرفيعة والعالية وهو قوله تعالى ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] أي حق ظهر علينا، وظهوره علينا بالعداء لنا، وحقيقة النصر للمؤمنين عداء

---

١ - البقرة ٩٨

٢ - الصف ١٤

٣ - آل عمران ٥٤

٤ - الروم ٤٧

٥ - المجادلة ٢١

٦ - الروم ٤٧

الشيطان وبيان الحقائق قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[١] وقال تعالى في وصف الشيطان ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢] ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٣] ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٤] وعداوة الشيطان للإنسان محكومه بمكر الله تعالى لأنها تبين تلك الحقائق، فالحقائق تظهر بعدائه فالإلقاءات الشيطانية بينة واضحة لذا قال ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فكأن الخطوات بسبب عدائه مرئية واضحة بينة، لذا ظهر إمكان عدم إتباع خطواته .

وهذه الشياطين هي شياطين الإنس والجن، فبعض الإنس يولد هذه الحالة في النفوس المؤمنة فيتبين من خلالهم حقائق الخطوات الشيطانية وتنعكس على النفوس المؤمنة ﴿وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً ﴾[٥] ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾[٦] فكان البيان هو ذلك الظهور لتلك الحقائق في النفوس المؤمنة وهو من لطف الله تعالى لعباده .

---

١ - الأعراف ٢٠١

٢ - البقرة ١٦٨

٣ - يس٦٠

٤ -الزخرف٦٢

٥ - النساء٤٥

٦ -الفرقان٣١

الجهة الثانية:

## ثم إذا كان العداء يعطي هذه الحقائق العالية فلماذا لا يستشعره المؤمنون؟

والجواب: إن ذلك العداء وان كان حقيقة موجود إلا أنه يواجه مشكلة وهي عدم الاستشعار به إذ أن هذه النتائج المذكورة متوقفة على تحققه، والاستشعار به حقيقة، فان العداء إذا كان غير منعكس نفسا، وغير محسوس نفسيا ظهر ذلك الأمر، قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[1] ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[2] والأهم في ظهور هذه الأمور أن يستشعر المؤمن بالعداء لله تعالى ﴿فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3] فالمحور لظهور هذه الحقائق العالية عداوة الله تعالى قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[4] إلا إن هذا الاستشعار للأسف لا يقع غالبا وهو من مشاكل هذا الزمن لانفكاك العدائين ظاهرا، لذلك استعمل الله تبارك وتعالى أسلوباً هو أن يبغّضهم إلينا لعلمه تعالى بأننا نحب أنفسنا ونؤثر أهوائنا عليه تعالى، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء﴾[5] ثم قال تعالى ﴿ تُلْقُونَ

---

١ - البقرة١٦٨

٢- الكهف٥٠

٣ - الأنعام١٠٨

٤ -التوبة١١٤

٥ -الممتحنة١

إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[١] وهذه ﴿الْمَوَدَّةَ﴾ تتحقق في النفوس المؤمنة لو دخلوا في الحياة الدانية المنخفضة وبعيدا عن الحياة المعنوية الرفيعة والعالية ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢] والمتحصل من هذه العداوة لله، الفاتحة للحقائق والتي ترجع حقيقة لنا ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ لابد أن ينبه عليها المؤمن ولو تناساها أو غفل عنها فلابد أن يذوق مرارة ذلك العدو، ولابد أن يعتصر بكُربته فلا يُنفس عنه بنصره أو يُكشف عنه ﴿وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً﴾[٣] ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[٤] ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[٥]، فالكربة والاعتصار وظهور العداوة لنا من أهم الطرق لذلك، فيتحقق القرب بها ﴿أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[٦].

## آثار حبس النصر :

يواجه المؤمنون في حياتهم أحيانا مواقفا يُحبس فيها النصر ولا تظهر نتائج قريبة بحسب تصورهم كالظلم والقدح والتقريع أحيانا واللوم أحيانا أخرى والتشكيك والاتهام، وكلها شديدة على النفس . ورأيت أن اغلب

---

١ -نفس الآية السابقة

٢ - العنكبوت٢٥

٣ - النساء ٤٥

٤ - البقرة١٠٧

٥ - البقرة ٢١٤

٦ -نفس الآية السابقة

الخطباء بذكرى ولادة أو استشهاد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) عرضوا بعض ما مر به (عليه السلام) من هذه المواقف، ونسأل هل هي مواقف ايجابية مؤثرة؟ ومن تلك المواقف التي يمكن أن نذكرها والتي هي من المواقف المهم طرحها في هذا الزمن لابتلاء المؤمنين بها، وفحواها **أن بعض المؤمنين لا يمتلك البصيرة في تحديد العدو**، وقد تكون حالة الأمة هي عدم البصيرة في إدراك العدو فقد اعتبرت في زمن الإمام الحسن (عليه السلام) أن العداء لذلك القائد هو عداء شخصي، فقد كانت تشكك في دوافع الإمام (عليه السلام) وتشك في نظافته وفي صحة موقفه وفي إلهية أطروحته، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) قَالَ (جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ (عليه السلام) يُقَالُ لَهُ سُفْيَانُ بْنُ لَيْلَى وَهُوَ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَدَخَلَ عَلَى الْحَسَنِ وَهُوَ مُحْتَبٍ فِي فِنَاءِ دَارِهِ فَقَالَ لَهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ انْزِلْ وَلَا تَعْجَلْ فَنَزَلَ فَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ فِي الدَّارِ وَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ قَالَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ مَا قُلْتَ قَالَ قُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ قَالَ عَمَدْتَ إِلَى أَمْرِ الْأُمَّةِ فَخَلَعْتَهُ مِنْ عُنُقِكَ وَقَلَّدْتَهُ هَذَا الطَّاغِيَةَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ (عليه السلام) سَأُخْبِرُكَ لِمَ فَعَلْتُ ذَلِكَ قَالَ سَمِعْتُ أَبِي (عليه السلام) يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) لَنْ تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ وَاسِعُ الْبُلْعُومِ رَحْبُ الصَّدْرِ يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَهُوَ مُعَاوِيَةُ فَلِذَلِكَ فَعَلْتُ مَا جَاءَ بِكَ قَالَ حُبُّكَ قَالَ اللَّهَ قَالَ اللَّهَ فَقَالَ الْحَسَنُ (عليه السلام) وَاللَّهِ لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ أَبَداً وَلَوْ كَانَ أَسِيراً فِي الدَّيْلَمِ إِلَّا نَفَعَهُ حُبُّنَا وَإِنَّ حُبَّنَا لَيُسَاقِطُ

الذُّنُوبَ مِنْ بَنِي آدَمَ كَمَا يُسَاقِطُ الرِّيحُ الْوَرَقَ مِنَ الشَّجَرِ)[١] وهذا الشك لازمه وجود نسبة من المقبولية للطرف الآخر للعدو الذي لم يعتبروه عدوا، ذلك العدو الذي لم يروا انه يخرج الرسول وآل الرسول، بل أراد إخراجهم قال تعالى ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾[٢] ولو حصل هذا الأمر - أي المقبولية للعدو - ذهبت المعنويات فتأخر العطاء بعدها إلى عشرين سنة مع وجود إمامين عظيمين وهما الحسن والحسين صلوات الله عليهما فـ ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[٣] . و﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

---

١ - بحار الأنوار ج٤٤ باب ٢٣ العلة التي من اجلها صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية عليه اللعنة.

٢ -الممتحنة١

٣- البقرة١٥٦

# القاعدة الثامنة

# أبعاد الفضل الإلهي

# سر لكمال العمل

# أبعاد الفضل الإلهي سر لكمال العمل

يُنقل عن بعض المؤمنين سؤالٌ مؤداه:

إن الإنسان لولا فضل الله تعالى ولطفه لما حصل على شيء وان لطف الله تعالى سابق لحركاته وسكناته، ثم إن ذلك الفضل يترتب عليه عطاءات كثيرة، ونحن الآن في النصف الآخر من شهر رمضان وستأتي مناسبات مهمة كاستشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) وليالي القدر، أو العشر الأواخر من شهر رمضان، وهي من ممكن أن تفوت الإنسان المؤمن وتفوته عطاءاتها لولا لطف الله ورحمته قال تعالى ﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1] إذ لا يتوقع احد أن الربح متحصل ومتحقق لمجرد أن يَعِد برنامجا خاصا أو يرتب ترتيبا خاصا أو ينظم بعض الفعاليات الحياتية فانه سيحظى بما يريد من هذه العطاءات، وعلينا أن نسأل **أولا:**

## ما هو الفضل ؟

قال تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2] وقال تعالى

١ - البقرة٦٤

٢ - آل عمران ١٧٣- ١٧٤

﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[١] وقال تعالى ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٢] فيظهر من مجموع هذه الآيات أن الفضل هو رحمة خاصة، وأعتقد أن الرحمة الخاصة لها أكثر من فهم، منها :

**إظهار غنى الملقي الإلهي** ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾[٣] أو هي **موضع لإظهار كمال المتلقي لها** ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[٤] وهما يلتقيان لمن تدبر .

**ثم إن هذه الرحمة الخاصة متعلقة بالمشيئة وفهمنا لها بعد السؤال إنها مشيئته تعالى أم مشيئتنا؟**

نقول إنها تساوق وتلازم المشيئتين فلا يختلفان ولا يتقاطعان لذا ذكرت الآية القرآنية ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٥] بعد الشعور بالضيق والحرج فكان فضل، وعبر عن هذا الأمر بالانقلاب فقال ﴿فَانقَلَبُواْ﴾ فتبين أن الفضل مكنون في داخله قوة انقلاب وتغير، فهو رحمة خاصة تحصل بتساوق مشيئتين تؤدي إلى قلب وعكس الحقيقة الواقعية إلى حقيقة أخرى

---

١ - البقرة١٠٥

٢ -آل عمران١٧٤

٣ - الأنعام١٣٣

٤- الكهف٦٥

٥ -آل عمران ١٧٣

وهو بذلك يكون مدخلا للصورة والحقيقة ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾[١] .

فتبين إلى هنا أن عقل الإنسان تطرأ عليه حالات وأوصاف ممكن أن تنقلب وتتغير من خلال دخولها في محل يقلبها وذلك الدخول في المحل المؤدي الى الانقلاب بتساوق مشيئتين وتتابعهما معا، لذا قال تعالى ﴿وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٢] ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[٣] ويظهر قوله تعالى ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٤] إذ لا يقع الإتباع له موضوع الإتباع لغيره ويظهر قوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾[٥] إذ أن الذي وقع هو قلب باتفاق مشيئتين ودخول ... فتبصر

**ثم لو سألنا سؤالاً ثانياً :** أن تلك المشيئة المتسقة بين العبد وبين ربه والمعللة للفضل ووقوعه هل تقع بين العوالم المختلفة ؟ فمشيئة الذين امنوا مع الله تعطي درجة ومشيئة الذين أوتوا العلم مع الله تعطي درجة، وهذا الإتساق في المشيئة بصورها المتعددة غَيّر درجة الفضل، قال تعالى ﴿يَرْفَعِ

---

١ - النساء١٧٥
٢ - آل عمران١٧٤
٣ - آل عمران٧٣
٤ - النساء٨٣
٥ - النمل٤٠

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[١] فاتساق مشيئته تعالى مع إيمان العبد أعطاه اتساق مشيئته مع درجات العبد .

فظهر أن العلم والمعرفة هما مدار التفضيل على شيء رفيع وسامي كالإيمان، قال تعالى ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٢] وقال تعالى ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[٣] لأنهم ﴿يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٤] ومشكلة الإنسان المؤمن أحيانا انه لا يدرك فضل العلم والمعرفة المكنونة الخفية فلا ينظر أصحاب الفضل الأقل إلى أصحاب الفضل الأرفع والأعلى إلا أنهم كاذبون، قال تعالى ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[٥] وهؤلاء هم أصحاب المعرفة المتهمون الملامون المكذَّبون، فقد ورد في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) مع المنصور الدوانيقي (وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الْآيَاتِ يُحْتَقَرُونَ وَيُحْتَقَرُ مَنْ يُحِبُّهُم)[٦] وما كذّبوهم إلا للفضل الذي ظهر بالمعرفة، وهذا قد يقع بين العوالِم الإلهية وبين العالَم الإنساني المتعدد، كذلك يقع بين العوالم الإنسانية، فيقع فضل عالَمٍ إنساني

---

١ - المجادلة١١

٢ - النساء١١٣

٣ - هود٣

٤ - النساء٣٧

٥ - هود ٢٧

٦ - الكافي للكليني/ ج٨ كتاب الروضة ح٧

على عالَمٍ إنساني آخر كفضل العالِم على غير العالِم لتساوق مشيئة الثاني مع الأول .

وبذلك يظهر انه لا معنى لتمني بعضٌ فضل بعضٍ إذ أن الفضل المتحصل من أحد غير المتحصل من أحد آخر لشرفية عالَم الأول على عالَم الثاني وقلنا أن من شرفية العلم ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1] والى الآن نستطيع أن نعرف الخطوط العامة للاستفادة من النصف الآخر من شهر رمضان وهي كما يلي:

**أولا:** إن النصف الأول فيه عدم انسجام بين المشيئتين بسبب أن نفس الإنسان الجموحة لاتزال غير مؤدبة وعاصية لسيدها ومولاها فيكون النصف الآخر قال (عليه السلام) (ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ، دَائِمُ الْبَرَكَةِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ)[2] ومحل الشاهد هو المشيئة المتعلقة في هذه الليالي وأهميتها وسيأتي في الليالي القادمة.

**ثانيا:** إن من أفضل الشرف وارفعه هو ذلك الفضل المتحصل من تساوق النفس المملوءة بالمعرفة مع نفس خالقها قال (عليه السلام) (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى

---

١ - النساء ٣٢

٢ - الصحيفة السجادية من دعائه عليه السلام في استقبال شهر رمضان

مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ وَإِجْلَالَ حُرْمَتِهِ)[١] فتحصيل المعرفة في النصف الآخر هو روح العبادة وروح شهر رمضان.

**ثالثا:** ويمكن زيادة الشرفية بان تجتمع أكثر من جهة لتنفعل مع النفس الإنسانية والمؤمنة لتعطي الشرف الأسمى كالمفاضلة بين المعلوم وعدم الركون إلى الخيال والمفاضلة في الأعمال والمفاضلة بالأزمان والأماكن وغيرها ويدل عليه آيات كثيرة كالمفاضلة في المعلوم ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[٢] أو المفاضلة في الأعمال ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٣] ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾[٤] أو المفاضلة بالأزمان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٥] أو المفاضلة في الأماكن ﴿وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً﴾[٦] فلو جمعنا النصف الآخر من شهر رمضان مع شرفية المعلوم والعطاء وكثرة الصلاة مع شرفية بعض الأزمان المخصوصة مع شرفية المكان يمكن تحصيل نتائج طيبة ومفيدة و جوائز رفيعة المستوى .

---

١ - نفس المصدر السابق

٢ - النساء١١٣

٣ - فاطر٣٢

٤ - الفتح٢٩

٥ - الإسراء ١٢

٦ - المائدة٢

**رابعـا:** ورد في خطبـة الرسـول الأكـرم (ﷺ) في اسـتقبال شـهر رمضان(وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالدُّعَاءِ)[١] وورد في نفس الخطبة (إِنَّ أَبْوَابَ الْجِنَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفَتَّحَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُغَلِّقَهَا عَنْكُم)[٢] فالسؤال مهم ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[٣] .

**خامسا:** ولو تجرد الإنسان عن كل هذه واكتفى بقوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤] وعلامته بشارة وفرحة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ﴾[٥] لأدرك معنى قوله (ﷺ) (هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللَّه)[٦] .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

---

١- المصباح للكفعمي ص ٨٩٥
٢ نفس المصدر السابق
٣ - النساء٣٢
٤ - البقرة١٩٨
٥ - آل عمران١٧١
٦ -المصباح للكفعمي ص٨٩٥

# القاعدة التاسعة

# نهج البلاغة تثوير للقرآن

# نهج البلاغة تثوير للقرآن[1]

إن الكلام عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ليس له بداية وليس له نهاية ولقد تكلم عنه (عليه السلام) الكثير، لذلك لن نتكلم عنه (عليه السلام) كشخصية ولكن نتكلم عن شيء يطرح نادرا وهو كتاب (نهج البلاغة) عموما والكلام عنه لا نقصد به الدراسة الموضوعية لهذا الكتاب إنما نظرة عامة ينتفع بها الإخوة المؤمنون للاستفادة منه، ورفع شكواه، لأنه قد نقول إن شكوى القرآن رفعت ولكن شكوى نهج البلاغة لم ترفع .

و أول فكرة نبدأ بها ونطرحها على شكل سؤال:

## هل يمكن أن نلمس بعض الأسس القرآنية في نهج البلاغة؟

والإجابة على هذا السؤال لها عدة فوائد منها: انه يكشف عن جزء من شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام) مع القران الكريم، لأن الجواب على هذا السؤال يعطي فهماً آخراً وجديداً للقرآن الكريم كما سنرى، ويكشف عن ضرورة إعطاء جزء كبير من حياتنا للكتاب العظيم، ويعطي فهما جديدا لنهج البلاغة .

١ - إن هذه المحاضرة والمحاضرات التي تليها لم يكتبها الشيخ دام توفيقه بيده بل ألقاها أجوبة على أسئلة سألها بعض الحاضرين وتصدى الإخوة (الشيخ حيدر ابو الهيل والشيخ أركان الطائي والشيخ إياد الحسيناوي والشيخ أمجد السعداوي) جزاهم الله تعالى خيراً لتقريرها .

وسنقتصر على ذكر أمثلة وعينات من نهج البلاغة ونخرج بمجموعة نتائج بعد أن نرى كيف إن الإمام (عليه السلام) استفاد من القران استفادة كبيرة في صياغة هذه المفاهيم وظهور هذه العلوم الكبيرة في هذا الكتاب الجليل ومنها:

## الاقتباس اللفظي من القران الكريم

كان (عليه السلام) يقتبس وينقل من القران الكريم مباشرة وهذا واضح في نهج البلاغة مثلا قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾[1] أو قوله تعالى ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾[2] نجد انه (عليه السلام) اقتبس نفس لفظة اليأس واستعملها في كلماته مثلا قال (عليه السلام) (الْغِنَى الْأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ)[3] ولقد استعملها (عليه السلام) في غير المورد الذي ذُكر في القران الكريم، ونذكر مثالاً آخر للاقتباس اللفظي من القران الكريم وهو لفظة القنوط قال (عليه السلام) (نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامِ)[4] وغيرها مما هو موجود فيه .

---

١ - المائدة ٣

٢ -الممتحنة ١٣

٣ - نهج البلاغة الحكمة ٣٤٢

٤ - نهج البلاغة / من خطبة له في الاستسقاء

قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1] .

## تحريك اللفظ القرآني وإعطاءه بعداً آخر

ولم يكن (عليه السلام) مكتفيا بالاقتباس اللفظي بل كان (عليه السلام) يحرك نفس الكلام ويعطيه بعدا آخر غير مذكور في الآية كقوله تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[2] فأن أقصى ما يصل إليه من يتفكر ويتأمل في هذه الآية الشريفة إن على الإنسان أن لا يقنط من رحمة الله تعالى ولكنه (عليه السلام) يتكلم ببعد آخر قال (عليه السلام) (عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَ مَعَهُ الِاسْتِغْفَارُ) فالاستغفار غير ظاهر في الآية بلفظه وهذا من استنطاقه واستنباطه (عليه السلام) من القران الكريم، نفس الرحمة المذكورة في الآية فهمها بطريقة معينة وصاغها بصياغة معينة فقال (عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَ مَعَهُ الِاسْتِغْفَارُ). ومثال آخر فقد وصف (عليه السلام) خلقة الخفّاش حيث قال (عليه السلام) (وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَرْتَفِعُ إِذَ ارْتَفَعَتْ لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ وَ يَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ)[3] فلو لاحظنا الدقة التي استعملها (عليه السلام) بكلمته (فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ) ولم يقل فسبحان الخالق وهذا استعمال دقيق جدا ليس

---

١ -الشورى٢٨

٢ - الزمر ٥٣

٣ - نهج البلاغة الخطبة ١٥٥

كل إنسان يلتفت إليه قال تعالى ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[١] ولفظة البارئ هي البراءة أو هي من التخليص كأن تقول برأ فلان من المرض أو من العمى وهكذا أي تخلص من ذلك الشيء وإذا وسعنا التخليص أكثر يكون معناه تميز شيء عن شيء آخر فقال (عليه السلام) (فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ) فكأنه (عليه السلام) يريد أن يقول إن الآية القرآنية حينما قالت ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ ولم تقل توبوا إلى خالقكم أو إلى ربكم قالت ذلك لأنهم صوروا العجل فاستعمل القران هذا اللفظ المتناسب مع حالتهم في تصوير العجل. ونفس هذا الفهم الدقيق للآية القرآنية استعمله (عليه السلام) في وصف الخفاش.

إذن يمكن القول انه متى ما ظهرت حالة التشبيه والتمثيل نستخدم لفظة البارئ، وهذا كمثال وليس شيء عام في نهج البلاغة ولكن بخصوص هذا الكلام .

## ظهور قوة الحرف والكلمة :

ولا يكتفي (عليه السلام) باستعمال اللفظ في المورد المستعمل فيه بل يستعمله في موضع آخر بطريقة معينة بحيث إن تلك اللفظة تضفي علمية على ذلك الاستعمال الجديد، فيظهر (عليه السلام) بهذا الاستعمال قوة الحرف والكلمة بطريقة لم تظهر به سابقاً، مثلا حينما يصف آدم (عليه السلام) بقوله (وَلَوْ أَرَادَ

---

١ - البقرة ٥٤

اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً)[1] وهو وصف وفلسفة دقيقة لآدم (عليه السلام) وعلة خلقه بهذه الطريقة الغير جذابة والبسيطة وانه اختبار للملائكة والذي جعل الملائكة يتساءلون، وجعل إبليس ـ في ذلك الموقف المهم والحاسم ـ يرفض السجود، فقوله (عليه السلام) (وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً) هناك آية قرآنية يقول الله تبارك وتعالى فيها ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[2] فللوهلة الأولى عندما تفكر في الآية الكريمة والموضوع ليس له علاقة بقصة آدم (عليه السلام) لان قصته في القرآن معروفة فربما ينصرف الذهن إلى جهنم مثلاً أو إلى العذاب ولكن قوة استنطاقه (عليه السلام) لهذه الألفاظ واستعماله لها جعله (عليه السلام) يجعله في مكان ويحرك ذلك المكان فاستفاد (عليه السلام) من هذه اللفظة ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ في قضية آدم (عليه السلام) وهي لم تُطرق في قضية آدم (عليه السلام) لا من قريب ولا من بعيد .

## إظهار العلاقة بين المفاهيم المتباعدة

وتارة يكون أوسع من ذلك الأمر انه يستعمل لفظة هي موجودة في محيط قرآني يستعملها في محيط قرآني آخر قد لا نجد علاقة واضحة بين الاثنين فيكشف علاقة جديدة غير مطروقة مثلاً قوله تعالى ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ

١ - نهج البلاغة الخطبة

٢ - الشعراء ٤

الْفَقْرَ﴾[1] وفي عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) لما ولاه مصر (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ)[2] فالكلام ليس عن الشيطان وليس له علاقة به بل الكلام عن البخيل فكيف ظهرت قوة العلاقة بين البخيل والشيطان لا ندري.

وقوله (عليه السلام) ( يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ)[3] وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[4] مع العلم إن الكلام الذي ذكره الإمام (عليه السلام) بخصوص البشر وليس بخصوص إنزال الماء كان الإمام يتكلم عن طائفة معينة ولكن الشاهد (مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ) والقرآن تكلم عن الماء وليس بخصوص البشر فما هي العلاقة بين الماء وبين تلك الطائفة، أيضا نجدها للوهلة الأولى متباعدة، يُوجد (عليه السلام) علاقة جديدة بين مفاهيم متباعدة جداً، أو حينما يقول (إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ)[5] والقرآن حينما استعمل لفظ الأكبر كقوله تعالى ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[6]

---

١ - البقرة٢٦٨

٢ - نهج البلاغة من كتابه عليه السلام لمالك الأشتر لما ولاه على مصر ص ٤٢٦

٣ - نهج البلاغة (الخطبة ١٦٦ ص٢٤٠ ومنها في بني أمية )

٤ - الزمر ٢١

٥ - نهج البلاغة من كتابه عليه السلام الى عامله على البصرة عثمان بن حنيف وكان عامله على البصرة ص ٢١٦

٦ -الأنبياء ١٠٣

أي المؤمنين أو قوله تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] والملاحظ أن الآيتين لم يذكرا ويصرحا بالتقوى لا من بعيد ولا من قريب ولم تذكر ترويض النفس أيضا ونقصد لا من قريب ولا من بعيد المعنى اللفظي أي بالدلالة المطابقية.

## إعادة صياغة الآيات القرآنية :

بل الأمر أكثر من ذلك فهو (عليه السلام) لشدة وعيه بالقرآن يُعيد صياغة جمل القرآن الكريم بطريقة عجيبة وغريبة، فمثلاً الآية القرآنية التي تقول ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[2] يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ)[3] والمُلاحظ إن الإمام (عليه السلام) يتكلم عن جماعة ألّف الله بينهم بألفة كالظل ينتقلون إليه ويأوون إلى ذلك الكنف، مع إن القرآن الكريم قال ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ أي متآلفين متحابين ولكن الإمام (عليه السلام) استنطق الآية القرآنية وأعاد صياغتها بهكذا صورة .

---

١ -السجدة ٢١

٢ - آل عمران ١٠٣

٣ - نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ وتسمى القاصعة ومنها في لوم العصاة ص ٢٩٨

وغيرها من الأمور التي توجد في نهج البلاغة والتي لها جذور قرآنية استعملها الإمام (عليه السلام)، كذكره للذكر والشكر أو بيت الله الحرام أو قوله (وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيق)[١] تعبيراً عن قوله تعالى ﴿فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢] وهكذا فالمتتبع لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يجد الكثير من هكذا أمور . فهنالك نتائج متحصلة من هذا الكلام وهي:

إن قراءة نهج البلاغة بهذه الكيفية يعطي وعياً واسعاً ويعطي قراءة جديدة لهذا الكتاب باعتبار إن الإنسان عموماً والملاحظ عند بعض المؤمنين أنهم عندما يقرأون نهج البلاغة يسألون كيف نقرأ هذا الكتاب؟ وكيف نعيه ونفهمه حيث انه لا يخلو من صعوبة؟ بعض المؤمنين تحصل له حالة لا إتزان بالجمع بين الثقلين كتاب الله تبارك وتعالى والعترة الطاهرة (سلام الله عليهم) فنجد البعض يأنس بالرواية والحديث كثيراً لكنه مع القرآن الكريم ليس بنفس الدرجة من الأنس، والبعض بالعكس يأنس بالقرآن الكريم كثيراً ولا يأنس بنفس الدرجة مع الرواية والحديث، لكن لو أرجعنا هذا إلى ذلك وهذه طبعاً التفاتة لطيفة، إن تعبير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالثقلين اكبر واصغر، فالنوعية واحدة والثقل واحد لكن القيود في الأصغر هي غيرها في الأكبر لكن المادة الأولية لهما واحدة، وهذا الفهم يفتح باباً واسعاً جداً وهذا لا يشمل نهج البلاغة بل الكثير من الروايات والأدعية كلها تجدها

---

١ - نهج البلاغة من كتابه عليه السلام إلى الحارث الهمداني ص ٤٥٩

٢ - البقرة ٩٤

مستندة لهذا الكتاب الإلهي العظيم . لكن الفرق أين؟ الفرق هو عندما نريد أن نتعامل مع القرآن نتعامل كما هو مادة أولية قرآنية هم (عليهم السلام) يمتلكون هذه الطرق : أخذ العبارة، تحريكها، وإدخالها من محيط إلى محيط آخر، مع إيجاد علاقات جديدة، تركيب العبارة بطريقة أخرى، إضافة أشياء لم تذكرها الآية القرآنية هم (عليهم السلام) يذكرونها بحسب استنطاقهم وفهمهم للقرآن الكريم، وهكذا فانه لا يمكن فهم احدهما دون فهم الآخر.

وبذلك يمكن فهم جزء مهم من شخصيته (عليه السلام) فالكثير يسأل من هو أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ أو ما هو أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ هذا الإنسان الذي عقمت النساء أن تلد مثله بحسب الفهم البسيط هو (عليه السلام) ببساطة ـ وهذا فهم نستطيع أن نستفيد منه في حياتنا المعاصرة ـ إنه (عليه السلام) إنسان وعى كتاب الله تبارك وتعالى وحفظه وتدبر فيه وفجر مكنوناته حتى صار ذلك الكتاب كل وجوده فخالط فكره وروحه وعقله وقلبه ولحمه ودمه، وهذا ربما فهم شيء من شخصيته (عليه السلام) وأنه يدعونا إلى التأسي بأمير المؤمنين (عليه السلام) مع العلم إننا لا نمتلك ذلك التراث الهائل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فنستطيع أن نتأسى به حينما نتأسى بكتاب الله تبارك وتعالى .

هذه نتيجة رفيعة المستوى ومهمة وهي أن إدراكه (عليه السلام) للكتاب ليس إدراكا اصطلاحياً يعني ليس كما هو متصور أن أمير المؤمنين (عليه السلام) يأتي بالآيات القرآنية ويضعها أمامه ويرتبها ويأخذ من هذه الآية ويصيغ هذه الآية وبالتالي يجمع كل هذه الأفكار وتظهر خطبة مثلاً فيكون الكلام باعتبار أن

أكثره قرآني واغلبه مستنطق قرآنياً فيكون أعلى من كلام المخلوق ولأنه أعيدت صياغته صار دون كلام الخالق، الفكرة ليست هكذا وإنما الفكرة يوجد بها فلسفة وحكمة .

وحتى نتكلم بها لا بد أن نمهد بهذه الآية القرآنية وهي قوله تعالى (كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)[١] هذا المقطع قبله مقطع وهو قوله تعالى (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ)[٢] فالآية تتكلم عن شيئين قرآن وكتاب وفرقت بينهما في حين أن البعض يستدل في هذه الآية على عدم جواز مس القرآن من قبل غير الطاهر مع العلم يوجد مسامحة في هذا الكلام لان الكتاب بالدقة هو غير القرآن كما هو واضح من الآية الشريفة.

وحقيقة الكتاب بحث طويل وعميق في القرآن الكريم لان هذه اللفظة (الكتاب) ذكرت في القرآن ما يقارب ٤٠٠ مرة أو أكثر وذكرت في مواضع ليس لها علاقة بالقرآن، في هذا الموضع التقت بالقرآن الكريم، المفسرون عموماً بحسب التتبع لهذه اللفظة لم يقفوا على حقيقة واحدة للفظ الكتاب، وكلٌ له اتجاه في فهمه، وحسب فهمي القاصر إن أدق فهم للكتاب هو إرجاعه للكتابة، الآية القرآنية تقول ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[٣] أو عندما تتبعوا لفظة الكتاب وجودها في اغلب الأحيان تأتي بعد الحروف المقطعة

---

١ - الواقعة ٧٨-٧٩

٢ - الواقعة ٧٧- ٧٨

٣- يس ١٢

﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[١] أو قوله تعالى ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٢] وهكذا فازدادت المسألة أكثر تعقيداً لان الحروف المقطعة نفسها غير معروفة، فتقريباً انضج الآراء هو (ان الكتاب هو عملية ضم بين الكاتب والمكتوب عليه) وهنا يتضح معنى القلم واللوح المحفوظ، فالقلم وهو إشارة إلى عالم، ذلك العالم هو الكاتب واللوح المحفوظ هو المكتوب، فعملية دمج القلم واللوح المحفوظ تسمى كتاباً فمثلاً (الر) هي عبارة عن دمج بين أشياء غير مفهومة لنا بحيث الناتج منها يعطيك كتاباً ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ وهذا الكتاب لو حصل يتحكم بكل الوجود . وهذه هل هي عوالم، معنويات، موجودات، أبعاد ؟ لا ندري، ولكن لو دمجت مع بعضها فنتيجتها في النهاية إنها تعطي الكتاب، ذلك الكتاب يتحكم بكل شيء.

في بعض الأحيان الإنسان يصنع أو يعمل كتاباً من خلال الدمج بين عدة أمور ويقع تحت تأثير ذلك الكتاب وهو لا يدري والآية التي قالت ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ هي عملية جمع أيضا فهناك موجودات أو معقولات تجمع بطريقة معينة نحن لا نفقهها، ولذلك نفهم بعض تصرفات الإنسان وتحققها في الخارج فلو انه أحسن الثقة بشيء معين ـ مثلاً ـ فانه يتحقق أو أنه لو تفاعل بشيء يتحقق، هذا بالحقيقة بالمعنى القرآني حصول

١ - البقرة ١ و٢

٢ - يوسف ١

عملية كتاب معين ذلك الكتاب تسري وتجري أحكامه في الخارج . وعند العودة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فنقول انه (عليه السلام) لم يأخذ القرآن كما قلنا بترتيب الآيات والدمج بينها كما يتصور ذلك، ولكن توجد طريقة لأخذ القرآن الكريم ـ غير هذه الطريقة الاعتيادية ـ لطيفة ـ تذكر للانتفاع بها في جميع شؤون الحياة إن شاء الله تعالى في التعامل مع القرآن الكريم ـ ونقصد طريقة غير قراءة القرآن الكريم بتدبر وبتفكر وبحفظ، وهي بسيطة ولكنها عميقة وهي انك تلمس الكتاب أو تمسه إذا دخلت في البُعد القرآني، أي إن للقرآن كتاب كما للموجودات كتاب ولحركاتنا وآثارنا كتاب فله كتاب خاص به أيضا، تارة تدخل إلى القرآن من خلال القرآن وتارة تكون جزءاً من ذلك الكتاب فتدخل بما يدخل به القرآن وتسير بما يسير فيه القرآن فإذا لامست الكتاب القرآني صرت كأنه قرآن وهذه الطريقة هي الأقرب لتفسير كل هذه الأمور والنتائج التي ذكرناها لأمير المؤمنين (عليه السلام) .

كان (عليه السلام) يسير بمحاذاة القرآن وعندما يتكلم بشيء يتفق أن القرآن تكلم بذلك الشيء، وهذا علم واسع ولو تأملنا في هذه الآيات القرآنية ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١] لا نجد هناك قرآناً وإنما هو تعليم بغير الطريقة القرآنية وهذا يعني إن الأخذ من الكتاب مباشرة (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) فهو علم ليس له نظير وهو اخذ بطريقة أعلى حتى من الأخذ

---

١ – العلق من١ إلى ٥

القرآني (عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) لأن الأخذ من القرآن هو اخذ بدرجة اقل، وحتى القرآن يقول ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] لأنكم لا تستطيعون كلكم أن تأخذوا من تلك الأشياء فأنزلنا لكم قرآناً عربياً لعلكم تعقلون .

**ونستطيع الآن أن نغير فهمنا لأمير المؤمنين (عليه السلام)** هذه الطريقة أليق بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأكثر تلائماً مع شخصيته، وهذا باب عظيم وهو إن القرآن الكريم يمكن تحصيله من غير القرآن وهذا ناتج من إدراك الكتاب وناتج من التعليم الإلهي كما ذكرت الآية القرآنية. وأنه ممكن للمؤمن أن يسير في نفس هذا النهج الذي سار فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا نقصد بالضرورة يسير أي انه يأخذ من هذه الموجودات العالية إنما يعطي الكتاب كل وجوده ويعطي القرآن كل وجوده، فإذا أعطاه كل وجوده فان القرآن يعطيه كل شيء وهذا أمر مهم وهو علاقة لطيفة بين الاثنين فيعطي الحكمة والمعرفة والصدق والتقوى وكل شيء .

كما نعلم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) واجه مجموعة أمور في حياته كالتشكيك بإمامته والتكذيب والمارقين والناكثين والقاسطين وواجه الإهمال والتجاهل وغيرها، ولو تأملنا في حياته (عليه السلام) وتتبعنا بعض الآيات القرآنية التي تكلمت عن القرآن نجد تطابقاً واضحاً ما بين الاثنين ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا

---

١ - يوسف ٢

رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[١] وحصل له نفس الأمر لفترة طويلة من حياته وعندما يتكلم الإمام (عليه السلام) فان هناك من يتكلم بشيء مخالف له وكذلك القرآن يطرح أمورا أو يتكلم عن ظاهرة معينة أو شيئاً ما، نجد أن هناك نظريات تتكلم عن أشياء مخالفة للقرآن كالمادية وغيرها من الأمور الكثيرة من التطابق مما حصل لأمير المؤمنين (عليه السلام) حصل أيضا للقرآن الكريم .

## ظهور آثار القرآن على المُتأسي به

إذن كيف يستفيد المؤمنون من هذه النقطة حتى نخرج بنتائج عملية، إن المؤمن كلما ازدادت علاقته بالقرآن الكريم واندمج معه وازدادت شدة الاندماج تظهر عليه آثاراً قريبة من هذا الكتاب، لكن طبعاً بدرجات اقل أكيدا من أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وواحدة من هذه الآثار أنه يواجه مشاكلا كالمشاكل التي واجهها القرآن الكريم إلى هذا الزمان المعاصر، ولنأخذ آية قرآنية وهي قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[٢] أي أنه واجه ثقلاً أي حينما يحمل مفهوماً معيناً فذلك المفهوم ثقيل على نفسه ـ أي ثقله لرفعة ذلك المفهوم ـ وثقيل اجتماعياً لو أراد تطبيقه، القرآن الكريم هكذا ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً

---

١ – الفرقان ٣٠

٢ – القارعة ٦و ٧و ٨

مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[١] بعضهم يرجع الضمير على القرآن ـ أي إن القرآن يخشع ويتصدع ـ وهذا لا يعني فناءه وإنما هو إشارة لهذه الحقيقة لان القرآن ثقيل والعوالم عموماً التي لا تفهم القرآن تواجه تلك الحقائق العالية بالرفض، كذلك المؤمن كلما ازدادت علاقته بالقرآن الكريم يزداد بلاءه ويزداد ثقله الاجتماعي فهو ليس سهلاً اجتماعياً وفي نفس الوقت يزداد تأثيره ونوره.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين

١ - الحشر ٢١

# القاعدة العاشرة

# ليلة القدر

# حديث عن عالم الأمر

# ليلة القدر حديث عن عالم الأمر

نتكلم بشيء عن ليلة القدر عموماً وبعض الأمور في هذه الليلة ونحاول كما عودناكم نذكرها كما عرضها القرآن الكريم ونستفيد من نشرة الصادقين.

قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1] إن بعض المفسرين وبعض من بحث في هذا الأمر حاول أن يعطي ليلة القدر عدة معاني، يعني أراد أن يفسر القدر بعدة معاني فصار التركيز في الآية القرآنية على صدر الآية وبدايتها.

فسألوا سؤال: **ما هو القدر؟** وجاءت الأجوبة مختلفة:

بعضهم قال إن القدر هي الليلة العظيمة الشأن باعتبار أن لفظة القدر دالة على العظمة وجلالة الشأن. بعضهم فسرها هكذا بأنه ليلة القدر هي الليلة التي تقدر فيها الأعمال وهي ليلة إبرام القضاء كما يقولون ويعبرون عنها بهذا التعبير.

على كل و يبدأ البعض ربما من بحث في هذا الجانب يحاولون أن يفهمونك ما الذي نزل في ليلة القدر؟ ويسألون سؤال انه لو كان نزول القرآن في ليلة القدر فكيف كان ذلك النزول؟ ودخلوا في أجوبة ربما مختلفة

---

١ - القدر من ١ إلى ٥.

يعني انه النزول كان دفعياً أو نزولاً تدريجياً . وما هي حقيقة النزول الدفعي للقرآن الكريم ؟ وكيف أنه نزل دفعة واحدة على قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ ونحن لا نريد الدخول أو الخوض في هذه الأمور، إنما نريد أن نتكلم عن ما تركه بعض الباحثين والمفسرين، ونتكلم فيه، ونقصد ما بقي من السورة وهي (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) باعتبار أن يكون الكلام تكميلاً لما قالوه (قدس الله أرواحهم أجمعين).

ونذكر مقدمة وهي إن هناك بعض الحقائق المخفية الماورائية والتي تظهر بشكل بعد زمني ربما يتعامل معه الإنسان ويتفاعل معه، لكن حقيقة ذلك البعد الزمني شيء آخر، فهو كما عبرنا عنها بأنها حقيقة ما ورائية غير منظورة وغير ملموسة غالباً وهي أعلى من إدراكات الإنسان، القرآن الكريم كشف بعض تلك الحقائق كما ورد في بعض الروايات إن ليلة النصف من شعبان هي المقصودة بقول الله تعالى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1] وان هذا الأمر وان ظهر بشكل ليلة في النصف من شعبان، لكن حقيقته انه (يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) هذه الحقيقة غير قابلة للإدراك والتصور من قبل الإنسان، لذلك الله تبارك وتعالى منّ عليه وكشف له بعض أسرار هذه الليالي ورفع الأستار والحجب عن بعض هذه الليالي.

---

١ - الدخان ١

وكمثال على هذا الأمر انه ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] الربوبية الإلهية وان ظهرت بشكل واضح ربما في بعض الآيات القرآنية بأن هي الإحاطة والتربية والرعاية وكل هذه الأشياء لكن مدة هذه الربوبية ومدة هذا الاسم في عمر الزمن وعمر الدهر ذكره القرآن الكريم بطريقة ربما ملفتة وغريبة كأنه (أَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) وكلها أمور هي أعلى من ادراكاتنا وتصوراتنا، وأن شهر رمضان وإن كان بعداً زمنياً وهو (شهر) يتراوح من ٢٩ ـ ٣٠ يوم لكن حقيقته هي منبع نزول القرآن وانه لو قلبنا شهر رمضان لظهر بصورة أخرى، وهي نزول القرآن ـ أي إن حقيقته نزول القرآن ـ لو تعاملنا بشكل عكسي مع نزول القرآن لظهر شهر رمضان (وذلك كما قلنا في محاضرة سابقة) إن شهر رمضان له طاقة وقدرة انتزاعية وسلخية لخلع بعض الأمور الطارئة على الحقيقة فيظهر الحقيقة مجردة كما هي، وغيرها .

## شهر رمضان وظهور الحكومة القرآنية :

ليلة القدر إذا أردنا أن نقرب الصورة ونفهمها هكذا بحسب هذا الطرح الذي طرحناه، لو كان شهر رمضان أو لو كان الدهر كل الدهر وكل الزمن هو قرآن وقمة هيمنة القرآن وحكومته في شهر رمضان وهذه حقيقة لطيفة جداً وعظيمة الشأن . إن الإنسان يفهم أن الدهر كل الدهر والزمن كل الزمن هو قرآن وان كان لا يشعر بهذا الأمر ولا يلمسه، الدهر كل

---

١ - الحج ٤٧

الدهر والزمن كل الزمن هو في حقيقته قرآن، وهذا دلت عليه بعض الروايات وان لم تفهم بهذا الفهم، فهمت بفهم اقل انه يجري فيكم مجرى الشمس والقمر، بعض المفسرين فهموا منها قاعدة الجري في التفسير وهي كما انه الشمس والقمر موجودة كذلك القرآن موجود، إن المسألة اكبر من هذا بحسب فهمي والله اعلم بالرواية، انه يجري فيكم مجرى الشمس والقمر أي يدخل في حياتكم لكنكم لا تشعرون ولا تعلمون به (النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا)[١].

قلنا حكومة هذا الأمر وظهور هيمنته في شهر رمضان، وإلا ان هذا لا يعني انه غير موجود في الأزمنة الأخرى بل هو موجود فيها، لكن لا تظهر له حكومة وسطوة وهيمنة وإنما حكومته وسطوته وهيمنته تظهر في شهر رمضان.

إن الآية القرآنية تقول إن القران (هُدًى لِّلنَّاسِ) مع العلم إن حقيقته هدى للمتقين وليس هدى للناس ويجعله منفعلاً معه رغم عدم امتلاك القابل لتلك المؤهلات والقدرات فصار ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[٢] رغم أن حقيقة القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٣] ونحن لو دخلنا في هذا الزمن الذي تظهر فيه حكومة وهيمنة القرآن الكريم وهو شهر رمضان، نقول توجد نقطة في ذلك

١ - بحار الأنوار ج٦٦ باب ٣٧ ص٤٨١
٢ - البقرة ١٨٥
٣ - البقرة ٢

الزمن هي أعلى نقطة فيه وهي قمة تلك الحقيقة وذلك البعد الزمني، ان شهر رمضان هو سيد الشهور كما ورد أي أن حكومة القرآن وسطوة القرآن تظهر فيه، ففي نفس شهر رمضان توجد قمة.

وقمة شهر رمضان وروحه هي ليالي القدر أو ليلة القدر.

لذلك لو قارنا بين الآيتين ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾[١] وصار الفاعل للإنزال مبني للمجهول في الآية الشريفة الفاعل غير معروف، لكن في ليلة القدر (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فظهر الفاعل بشكل واضح، فقمة هيمنة وسطوة القرآن تظهر في هذه الليالي، والحقيقة القرآنية ـ كما يعبرون عنها ـ تظهر في هذه الليالي.

وخذ أي شيء مثلاً، نفسك كمثال اقرب، لا يمكن أن تكون عارفاً بها وداخلاً في تفاصيلها وجزئياتها واقرب إلى إدراك كنهها وحقيقتها أكثر من هذه الليالي .

المعرفة بالله تبارك وتعالى، اقرب ما يمكن أن يكون الإنسان عنده معرفة هي في هذه الليالي بحسب الغرض يعني هي هكذا اقرب ما يكون الإنسان متخلصاً من أمراضه النفسية وأمراضه الروحية هو في هذه الليالي، اقرب ما يكون الإنسان مجرداً عن الانفعال بالموجودات الأخرى والتأثير المتبادل بينه وبين الموجودات الأخرى، هي في هذه الليالي، لماذا ؟ لأنها

---

١ - البقرة ١٨٥

اقرب نقطة يكون الإنسان فيها قريباً من الحقيقة الأمرية كما سنرى ونفهم اقرب ما يكون الإنسان أو اقرب نقطة على طول عمره الزمني من قدر إلى قدر، أو من شهر رمضان إلى شهر رمضان بأي تعبير، اقرب ما يكون إلى حقيقة جليلة الشأن وجليلة القدر هي هذه الليالي.

إذن الآن نحن نريد أن نفهم بعض الأمور التي تخص ليلة القدر فلنرجع إلى الآية القرآنية، وكما قلنا لا نريد أن نأخذ المقطع الأول باعتبار صار فيه كلاماً من قبل المفسرين وطرحوه وسألوا به، لكن لم يكن التركيز كثيراً على المقاطع التي بعده، ونحاول نركز عليها .

قال تعالى (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) نزول الملائكة يحتاج إلى مقدمة حتى نفهمه، تعرفون انتم السؤال المطروح بشكل تقليدي انه من اشرف الملائكة أم الإنسان؟

## ما معنى أشرفية الإنسان على الملائكة ؟

تعرفون الجواب المتعارف وربما صار من البديهيات عند المتشرعة، إن الإنسان أفضل من الملائكة، ولكن أي إنسان ؟ الإنسان المؤمن الإنسان الكامل هو أفضل من الملائكة. والجواب هذا في تصوري غير دقيق وعلة عدم الدقة إن الملائكة لها شأن محترم وشأن كبير، الإنسان الكامل أيضا أو الإنسان الذي يمتلك درجة معينة له شأن وله أيضا درجة ومقام معلوم ومحترم، كل ما في الأمر أن مُرجحية الإنسان على الملائكة ليس كما يتصور

البعض، ليس لأنهما اختبرا بشيء واحد أو سارا بطريق واحد فتميز احدهما على الآخر، أو كما يقول البعض ربما إن الإنسان يمتلك شهوة يمتلك نفس أمارة بالسوء ويمتلك قوة غضبية، يعني يمتلك قوة شيطانية وغيرها، الملائكة مجردة من كل هذه الأمور بل هي عقول مجردة كما يعبرون عنها بلغة الفلسفة، هي عقول مجردة لا تمتلك شيء من هذا القبيل لذلك صار الإنسان اشرف من الملائكة لو تجاوز كل هذه العقبات الكؤود ووصل إلى ما وصل إليه الملائكة.

## أشرفية طاعة الملائكة :

لكن ما نريد أن نطرحه شيئاً بسيطاً ينفع إن شاء الله كثيراً، الملائكة عموماً لا يوجد طاعة لله عز وجل كطاعة الملائكة، لا الإنسان ولا غير الإنسان، هم أكثر من أطاع الله تبارك وتعالى، ولكن قد ينصرف الذهن انه حتى أهل البيت داخلين (عليهم السلام) والحقائق العالية داخلة في هذا الأمر، لا نحن نناقش حالياً أصل الإنسان واصل الملائكة بغض النظر عما يتفرع منها، فنحن نناقش الحقيقة الإنسانية والحقيقة الملائكية.

الحقيقة الملائكية هي حقيقة تطيع الله تعالى هي أصلا خلقت للطاعة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1] الملائكة هم أصلا

---

١ - التحريم ٦

مخلوقات طائعة، بشكل عجيب لا يمكن للإنسان أن يتصور طاعتهم وانصياعهم للأوامر الإلهية.

## جامعية الإنسان :

لكن الميزة في شرفية الإنسان على الملائكة[١] ليس في أن الملائكة أكثر طاعة والإنسان اقل طاعة مثلاً، أو أن الإنسان يتجاوز طاعة الملائكة، كلا إن الملائكة متفوقة في الطاعة، لكن شرفية الإنسان على الملائكة في جامعيته ليس في طاعته، لذلك استحق الخلافة.

فلنقرب الصورة بشكل آخر الآية القرآنية قالت ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢] الملائكة عموماً وهذه لو يلتفت إليها حينما قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾ الأرض عموماً هي محل سفك الدماء والقتل ومحل المعصية العالم الوحيد الذي يعصى فيه الله تبارك وتعالى هو الأرض، لا العوالم التي بعدها ولا العوالم التي قبلها فيها معصية لله تبارك وتعالى.

---

١ - إن المقصود صنف من الملائكة لا كل الملائكة باعتبار أن الروايات والآيات القرآنية صنفت الملائكة إلى أصناف من ضمنها عظيمي الشأن كجبرائيل وميكائيل وملائكة عالون وملائكة كالروح... فالكلام يخص صنف من الملائكة لا جميعها وتفصيل الكلام يوكل إلى محله في بحث كامل عن الملائكة إنما قصدنا تسليط الضوء على صنف منهم مصنف بالعبادة والطاعة العالية لا كلهم .

٢ - البقرة ٣٠

الله تبارك وتعالى قال ـ لاحظوا ـ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ﴾ في هذا العالم فقط ودون غيره من العوالم فقط تتحقق الخلافة.

## تحقق الخلافة الإلهية في عالم الأرض

إذن يا الهي كيف تتحقق الخلافة؟ هذا العالم هو عالم معصية عالم سفك دماء وقتل قال ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني بعبارة أخرى، هو هذا العالم بما يحويه من تدافعات وتنازعات وتجاذبات وسفك دماء وقتل هو في هذا العالم تتحقق الخلافة .

الخلافة لا تتحقق في عوالم ليس فيها تجاذب ولا تدافع ولا تنافس وقتل وسفك دماء، إنما نريد الربوبية تتحقق وتظهر جميع الأسماء الإلهية في هذا العالم .

الكلام ليس واضحاً نقربه أكثر، الملائكة عموماً، خلق الملائكة، وحقيقة الملائكة، هي الطاعة، يعني عندهم الله تبارك وتعالى يطاع في السجود لذلك يوجد ملائكة ساجدة فقط، الله يطاع في الركوع لذلك يوجد ملائكة راكعة، الله تبارك يطاع مثلاً بالقيام، الله تبارك وتعالى يطاع بالتسبيح.

إذن جامعية الملائكة ومساحة طاعة الملائكة ضيقة ليست واسعة، لأنهم يعرفون انه واحد اثنين ثلاثة وأربعة وخمسة هذه مجموعة موارد يطاع فيها الله تبارك وتعالى وغيرها لا يمكن إطاعته فيها .

## شمولية طاعة الإنسان بجامعيته :

يقول لهم سوف اخلق لكم مخلوقا، موجودا، ذلك الموجود في جميع الأحوال والمتغيرات الصاعدة والنازلة هو طائع لله، لذلك صارت الملائكة كما قلنا لا تمتلك الجامعية على عبادة الله تبارك وتعالى. وإنما الإنسان هو اشمل وأوسع وأكثر جامعية من الملائكة .

مثال بسيط سوف نضربه، فلنفترض مثلاً هكذا أمر وهكذا قضية، توجد عندنا أحاديث أن (طالب الرزق لعياله كالمجاهد في سبيل الله)[١] . عند الملائكة هذا خطأ، لا يكون، لان طالب الرزق لعياله منشغل بغير الله تعالى.

شمولية الإنسان وجامعية الإنسان انه يطلب الرزق لعياله ومع ذلك هو عابد لله تعالى، هذه الشمولية والجامعية للإنسان، فلنفترض كما وقع وان كان إبليس ليس من الملائكة ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢] لكنه عموماً كان في صفوف الملائكة، لو حصلت عنده معصية من الصعب الرجوع جداً لأنه في قاموسهم لا يوجد هكذا أمر هي معصية وانتهى الأمر لان الله تبارك وتعالى لا يمكن أن يصل إليه الموجود أو أن يتكامل إليه الموجود إلا عن طريق الطاعة.

---

١ - ورد في - الكافي باب الكاد على عياله عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ (الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

٢ - الكهف ٥٠

لكن الإنسان فتح الله تبارك وتعالى له باباً واسعاً اسمه التوبة فقيل (إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[١]، أو كما ورد في الأحاديث انه (أنين التائبين أحب إلي من تسبيح المسبحين)[٢].

إذن الله تبارك وتعالى جعل للإنسان شمولية وجعل له سعة أكثر من سعة الملائكة، لكنه لا يعني انه طاعة الإنسان أكثر من طاعة الملائكة طاعة الملائكة طاعة عظيمة وطاعة كبيرة.

لذلك ـ إذا تلاحظون ـ إذا رجعنا إلى الآية القرآنية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾[٣] لاحظوا لفظة كلها وهذه الكلية لم يفهمونها يعني شمولية أوسع أي إن تعليم الأسماء كلها هذه شمولية آدم (عليه السلام) أوسع من شمولية الملائكة فحينما قال لهم ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤] سوف أعطيك أنا أيها الملك سوف أقول لك إن كنت في عالم مادي وعالم فيه قتل عالم فيه بلاء وعالم فيه ذنوب وتستطيع أن تصل إلي؟ أيوجد هكذا شيء، قال ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾[٥] لا نقدر لهذه، هذه كيف تكون، هذه لا يمكن أن

---

١ - الكافي باب التوبة ح١٠ (عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَالْمُقِيمُ عَلَى الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَغْفِرٌ مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ) .

٢ - ورد مثل هذا الحديث في كتب العامة مثل تفسير الرازي ويوجد في كتاب الله تعالى ما يؤيده مثل قوله تعالى (يبدل سياتهم حسنات) .

٣ - البقرة ٣١

٤ - نفس الآية السابقة

٥ - البقرة ٣٢

تكون الحالة، بهكذا صورة فقال ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء﴾ وتعرفون بعض التعبيرات تقول إنهم أهل البيت (عليهم السلام) وهم مدار الجامعية والشاملية الكاملة، على كلٍ هذا موضوع آخر.

إذن عموماً إن الفكرة التي نريد أن نصل إليها إن الإنسان أكثر شمولية وأكثر جامعية من الملائكة لان الملائكة لهم طاعة ولهم قدرة على الطاعة العظيمة والانصياع العظيم لله تبارك وتعالى. لو فهمنا هذا الأمر نرجع إلى الآية القرآنية هذه الليلة ليلة القدر ذكرت الملائكة، انه في ليالي القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

انتم سمعتم إن الملائكة يمتلكون أجنحة والأجنحة ليست هي بالأجنحة المادية التي تصعد وترفرف كأجنحة الطيور وغيرها. هي كلها لها حقائق وصور رمزية يعني كلها معقولات مجردة عن المادة وغيرها.

## نزول الملائكة في ليلة القدر تصاعد تكاملي لها :

لكن الذي نريد أن نقوله بهذه الفكرة إن القرآن يقول في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحِ﴾ الملائكة تنزل وهي تمتلك أجنحة فنزول الملائكة هو ليس هبوطاً، الملك حينما ينزل هو يتكامل، نزول الملك هو كمال له عكس الإنسان نزول الإنسان هو هبوط له ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[١].

١ - التين ٥

إن أجنحة الملائكة التي ذكرها القران الكريم هي عبارة عن حقائق وصور رمزية، كلها معقولات مجردة عن المادة ... فتدبر

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد واله الطاهرين.

# القاعدة الحادية عشر

# مودة أهل البيت (عليهم السلام)

# صورة المعرفة العليا

# مودة أهل البيت (عليهم السلام) صورة المعرفة العليا

قال الله تبارك وتعالى ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[1] أو قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[2]. فقد يثار سؤال:

كيف نتصرف مع بعض الأعداء الذين نعتقد أنهم من أعداء الله تبارك وتعالى ولو كان هؤلاء الأعداء من الأقارب أو من المقربين فكيف نتصرف معهم؟

اعتقد الجواب بسيط إن شاء الله تعالى،نفس الآية الشريفة ذكرته .

الآية قالت (تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ) هذا هو المدار في الفكرة، لاحظوا لو تأملنا في الآية القرآنية التي ذكرت بخصوص أهل البيت (عليهم السلام) ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[3] المودة في القربى يعني الآية القرآنية طلبت منا الحب يعني الحب الحقيقي لأهل البيت، لا يكفي فقط أن تقرأ رواياتهم ولا يكفي أن تهتم بشخصياتهم، ولا يكفي مثلاً أن تتأثر بأفكارهم أو تتخذ منهجهم بطريقة جامدة، كلا، الآية القرآنية طلبت حالة انفعالية نفسية روحية كاملة مع أهل البيت، المودة إنما هي تقع حالة انفعالية

---

١ - التوبة ١١٤

٢ - الممتحنة ١

٣ - الشورى ٢٣

نفسية واقعية مع أهل البيت (عليهم السلام) . يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) أو الحسن والحسين والسيدة الزهراء (عليها السلام) ومن قبلهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لا بد من التأثر عندما تسمع بشخصياتهم.

أو مثلاً عندما تتعايش معهم تتأثر، الآية القرآنية قالت ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[1] الآية تصف هكذا حالة سلبية أن بعضهم يتعامل مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بهكذا طريقة.

ينقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه كان (إذا ذُكِر عنده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اصفر لونه)[2] إذن هي حالة ينفعل بها الوجود الداخلي للإنسان، هذا هو المطلوب باختصار، بغض النظر عن تفسير الآية والدخول في تفاصيلها والآراء التي فيها.

## المودة أفضل طرق الكمال :

لكن فقط شيء بسيط نذكره، انه تعالى قال ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أن المودة في القربى هي أفضل طريق لكمالكم،

---

١ - محمد ٢٠

٢ - بحار الأنوار ج١٧ باب ١٤ آداب العشرة ( قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَالِكٌ وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله اصْفَرَّ وَمَا رَأَيْتُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ وَقَدْ كُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَيْهِ زَمَاناً فَمَا كُنْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ إِمَّا مُصَلِّياً وَإِمَّا صَامِتاً وَإِمَّا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَّادِ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ) .

أفضل طريق تتكاملون به أن يقع عندكم حالة من الانفعال الداخلي الباطني مع أهل البيت (عليهم السلام)، في ذكرى ولادة احدهم (عليه السلام) تفرح فرح حقيقي أي لا تصطنع الفرح، في ذكرى استشهاد احدهم (عليه السلام) تتأثر تأثراً حقيقياً، لذلك بعض الروايات تفسر هكذا حالة، مثلاً (إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَدا)[١] أو (شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا)[٢]، إذا إن عملية التأثر الخارجي العلمي فقط لا تكفي بل يجب أن يوجد حب حقيقي ومودة حقيقية ونفس منفعلة بهما، وكلما يزداد ـ وهذه لطيفة ينبغي الانتفاع منها ـ حب الإنسان لأهل البيت (عليهم السلام) هذه المودة تزداد في الآية القرآنية، فيفتح الله تبارك وتعالى عليه من العلوم ما لم يحصل عليه لا الأولون ولا الآخرون يحصل علم خاص الله تبارك وتعالى يفتحه للذي يلقي المودة في قلبه لأهل البيت (عليهم السلام) .

الرواية القائلة (بأنه لو عرضت على أحدكم مسألة ولم يعرف جوابها ثم تذكرنا أهل البيت وانفعلت نفسه بمودتنا وحبنا ألقى الله في روعه جواباً

١ – مستدرك الوسائل ج ١٠ باب ٤٩

٢ – بحار الأنوار ج١٠ باب ٧ ص ٢٨٩ (قال رسول صلى الله عليه واله إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا وَاخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا وَيَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَيَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِينَا أُولَئِكَ مِنَّا وَإِلَيْنَا) وروايات أخرى بهذا المضمون .

لتلك المسألة)[١] وهذه من الأسباب التي تخصهم هم (عليهم السلام) فهم سادة الخلق وهم أعلى الخلق والناس كلهم تراب فان أهل البيت(عليهم السلام) لا يقاس بهم احد على الإطلاق[٢].

فهذه المودة (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) هي باب واسع ولا يتصور الإنسان ويقول أن المودة عندنا ونحن إن شاء الله تعالى من أصحاب هذه الآية القرآنية.

إن المودة كلما ازدادت ازداد الإنسان رفعة، وبالمناسبة يتفاوت العلماء والأولياء والصالحون في هذه المودة صدق أو لا تصدق وإنما تفاوت درجاتهم واختلاف درجاتهم بسبب هذه المودة، فرفعة الإنسان وقلة الإنسان بحسب هذه المودة، فكم يكون الإنسان رفيعاً وكم يكون قليلاً في هذه الحياة الدنيا بسبب هذه المودة.

وكم يكون الإنسان عالماً وكم هو أقل علم بسبب هذه المودة، وكم يكون الإنسان عادلاً ويمتلك درجة عالية من العدالة أو درجة اقل من العدالة بسبب هذه المودة، وكم يمتلك الإنسان قرب من الله تعالى أو اقل قرب بسبب هذه المودة، الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) شخص تشخيصاً دقيقاً لشيء نحن

---

١ - لم أعثر عليه بهذا النص ولكن توجد روايات تؤيد هذا المعنى منها ما ورد في كتاب المحاسن للبرقي باب ٨٠ عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال (من أحبنا أهل البيت وحقق حبنا في قلبه جرى ينابيع الحكمة على لسانه و جدد الإيمان في قلبه).

٢ - بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٤٠٦ باب تفضيلهم على الأنبياء وعلى سائر الخلق (قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ لَا يُقَاسُ بِنَا أَحَدٌ فِينَا نَزَلَ الْقُرْآنُ وَفِينَا مَعْدِنُ الرِّسَالَةِ ) .

عقلنا لا يتصوره هو قال المودة هذه سر من أسرار الله تبارك وتعالى وانتم تنافسوا بالمودة وان تنافسكم فيها هو سر اختلاف درجاتكم وهو سر قربكم أو ابتعادكم أو عدالتكم أو استقامتكم أو انحرافكم وغيرها. فالمودة وهي اللفظة التي ذكرها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي لفظة عميقة ودقيقة فالآن توضحت الفكرة وهو شيء بسيط وعارضي رزقنا الله تبارك وتعالى به، وهو ذكر أهل البيت (عليهم السلام).

## العداء لأعداء الله تعالى وأثره في المعرفة

فلنرجع إلى أصل الفكرة والسؤال الذي سألتموه، كيف نتصرف مع أعداء الله تعالى؟ أعداء الله عكس هذا، الآن انحلت القضية، كم هذا الأمر مركز ومكثف على الجهة الصالحة والطاهرة والنقية وهي جهة أهل البيت (عليهم السلام)، كذلك الشيء العكسي والضدي مع أعداء الله تبارك وتعالى، يجب أن لا يكون هناك أي مودة ولا ذرة مودة على الإطلاق ولا أي لفظة من ألفاظ المودة ولا أي نقطة أو جزء من المودة تلقيه، لان أي نقطة وأي مودة يوجد نقصان في مقابلها، كما أنه يوجد زيادة في مودة أهل البيت (عليهم السلام) كذلك أعداء الله تبارك وتعالى أي مودة في قلبك تجاههم في مقابلها نقصان، تلقي إليهم المودة ـ أي الأعداء ـ يكون معها جهل وهذا عمليا مجرب، تلقي إليهم بالمودة معها يكون حمق أي كون الواد لهم أحمق، وتلقي إليهم المودة يكون معها ظلم تكون ظالم، تلقي إليهم مودة تكون متثاقل في العبادة، تلقي إليهم مودة تكون غير طاهر ولا تعتني بالطهارة، تلقي إليهم بالمودة

تكون سفيهاً لا صاحب عقل ولا اتزان، وهكذا فبمقدار المودة التي تلقيها لهم يحصل نقص هذه هي الفكرة وهذه هي الحقيقة.

إذن قضية الآية القرآنية أجابت عن هذا السؤال، انه إحساسي وروحي وبدني وقلبي ـ يجب أن لا يعطي أي ذرة بأجزاء بسيطة ـ وهذه أيضا يتفاوت به الخلق ـ بمودة هؤلاء الظالمين الأعداء لله تبارك وتعالى.

فكلما الإنسان تبرأ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[1] عوضه الله تبارك وتعالى بهذا التبرأ علماً وعوضه عدالة وعوضه طهارة ونقاوة وعبادة وقرباً منه تبارك وتعالى وصار قريباً في نفس الوقت لمودة أخرى، فهو تخلى هنا عن مودة فألقيت في قلبه مودة أخرى.

## الفرق بين المودة والرحمة :

إذن هو الأمر داخلي في الإنسان، وقد يقول قائل إذا كان ـ الأعداء ـ أقاربك فكيف نفسر بعض الأمور التي تخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قلنا هذا لا ينافي هذا لأنه هذا في عالم وذلك في عالم . لاحظوا الرسول (ﷺ) عندما قال الله تبارك وتعالى عنه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] ليس مودة للعالمين، فلنفرق يجب أن يكون هناك تفريقاً بين الرحمة والمودة.

١ – التوبة ١١٤ .

٢ – الأنبياء ١٠٧

الرسول (ﷺ) رحمة للعالمين نعم ونحن نريد إصلاح هذا المنافق وذلك الفاسق ونريد إصلاح ذلك الكافر أيضا ويدخل في الإسلام والإيمان هذا رحمة، لكن هذه الرحمة بينها وبين المودة جدار رقيق جداً فالرحمة شيء والمودة شيء آخر، أنا مودتي محصورة بموجودات طاهرة ونقية، أولئك ـ أي الأعداء ـ أرحمهم وأقدم لهم يد العون والمساعدة، لكن ليس معناه أن القي إليهم المودة كلا.

فالمودة هي أن تدخل حالة حب، تدخل حالة استرخاء داخلي، تدخل انفعال نفسي داخلي وتعاطف نفسي داخلي ومحبة ومودة... الخ.

إن المسألة ليست هكذا ـ يعني بين الرحمة والمودة ـ حتى نكون دقيقين في هذه النقطة.

فهذا الأمر لا يتقاطع مع ذلك الأمر، لذلك نرى القرآن الكريم يقول ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1] صحيح لكن هذه ليس لها علاقة بتلك، نعم يا رسول الله (ﷺ) نحن لا نريد منك أن تكون فضاً وغليظ القلب وإلّا لانفضوا من حولك، ولكن هذا ليس معناه يا رسول الله (ﷺ) أن تودهم لا ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾[2] تأملوا في الآية القرآنية بأنهم ارتدوا وكيف هو شكل ارتدادهم؟ لم يقل ارتدادهم ما هو، ولكن رأساً من الاستبدال سوف نعرف بماذا ارتدوا ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ

١ - آل عمران ١٥٩

٢ - المائدة ٥٤

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1] إذن أولئك كيف ارتدوا؟ لأنهم أحبوا غيره، وإلا كيف ارتدوا؟ إذن القوا المودة لغيره تعالى، لم يفعلوا سوى هذه النقطة الله تبارك وتعالى مباشرةً طردهم من مهمة عظيمة وهي قيادة الخلق والأخذ بأيديهم إلى الله تبارك وتعالى، مباشرة هم لم يرتكبوا محرمات ولا فواحش الآية القرآنية قالت ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ يا الهي كيف ارتدوا؟ لم تذكر الآية .

مباشرة ذكرت الآية عنوان الشخصية الجديدة الغير مرتدة ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وماذا بعد ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذن أولئك ما الذي حصل بهم؟ لم يكونوا لا أذلة على المؤمنين ولا أعزة على الكافرين كانت عندهم القضية متساوية ويجوز أن يكونوا أعزة على المؤمنين وأذلة على الكافرين نفس الشيء، الآية تؤكد على هذه النقطة ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾، فكيف تريدني أن ادعك تقود أمماً وتقود البشرية وتقود إنسانا إلى أعلى نقاط الكمال والوجود وأنت لا يوجد عندك هذا الشيء.

فنرى الآية القرآنية محورها هذا الأمر، فمحور الارتداد ومحور الرجوع ومحور القبول عند الله عز وجل هو هذا الأمر بأكثر من موضع ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يعني إن الذين استبدلوا أحبوا غيره ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ

١ - نفس الآية السابقة

عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ معناها لم يكونوا أعزاء على الكافرين ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ معناها أخذتهم في الله لومة لائم.

إذن هي حالة وجدانية داخلية يعيشها الإنسان، لكن ليس معناهاً تقاطعاً مع عمله الرسالي، فلنفرق فالعمل الرسالي والظاهري والرحمة بالآخرين وتقديم يد العون لهم والأمر بالمعروف لهم ونهيهم عن المنكر وإلقاء بعض طرق الكمال، هذا شيء، لكن هذه الحالة يفترض أن تكون محصورة بموجودات طاهرة ونقية ـ أي حالة المحبة والمودة ـ فأنا أعرف ضمن هذه الأمور الشباب الذين اخطأوا في حياتهم إنهم تزوجوا من نساء لم تكن صفاتهن إيمانية مثلاً وحين تزوجها يعني أحبها على صفاتها غير الإيمانية خسر خسارة كبيرة فنراهم خرجوا عن الطريق الإسلامي وهو لا يعرف لماذا خرج عن الطريق الإسلامي، هو كل ما في الأمر انه استبدل مكان الله تبارك وتعالى شيئاً آخر[1]. لكن لو تزوج إنسانة مؤمنة لا تحمل هذه الصفات التي تحملها تلك ـ اقصد الصفات الظاهرية والجسدية وغيرها ـ ربما الله تبارك وتعالى بهذه الخطوة يفتح له الخير الكثير[2]. هذه الخطوة هي مداد الكمال

---

١ يؤيده قوله تعالى ﷻوَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ۞ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ صدق الله العظيم ﴿الأحزاب :٣-٤﴾ وورد في البحار ج ٦٧ باب حب الله ح٢٦ ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) و قَالَ ( الْقَلْبُ حَرَمُ اللَّهِ فَلَا تُسْكِنْ حَرَمَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ )

٢ - ورد في الكافي ج٥ باب فضل من تزوج ذات دين ح٣، ما يؤيده هذا الأمر ( عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالَ إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا أَوْ مَالِهَا وُكِلَ إِلَى ذَلِكَ وَإِذَا تَزَوَّجَهَا لِدِينِهَا رَزَقَهُ اللَّهُ الْجَمَالَ وَالْمَالَ )

فالمودة أين تلقيها، سلباً هي مدار الهبوط، إيجابا هي مدار الرقي والكمال. اعتقد ربما هذا جواب عن هذا الأمر .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

# القاعدة الثانية عشر

# دخول عوالم الحقيقة

# خير تأس بالمعصوم

# دخول عوالم الحقيقة خير تأس بالمعصوم

يرد سؤال مفاده كيف نتأسى بالمعصوم (عليه السلام) وكيف يستمر الإنسان على تأسيه؟

كجواب أولي إن المفهوم الذي ذكرناه في الليلة التي كان الكلام فيها عن ليلة القدر وعالم الأمر وان كان ذكرناه بشكل سريع ولا يتلائم ـ لأنه ليس موضوعنا ـ إنما الموضوع هو ليلة القدر ولكن هذا من الأمور التي ذكرت كنتيجة لما يمكن أن يحصل عليه الإنسان في هذه الليلة، لكن هو المفهوم عموماً بحاجة إلى توضيح .

فكرة ارتقاء الإنسان وان يكون جزءاً من المعصوم (عليه السلام) أو أن يكون المعصوم (عليه السلام) جزءاً من الإنسان، وقد ذكرنا في تلك الليلة، إن بعض ما ورد من تراث أهل البيت (عليهم السلام) أو كما ورد في الزيارة الجامعة بالخصوص بعض التصريحات من هذا القبيل (ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَ أَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَ أَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَ أَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَ أَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَ آثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَ قُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ)[1] لكن هذه المطالب هي نوعاً ما فلسفية عالية وربما حتى فوق تصوراتنا، نحن نفهم فعلاً أن يكون الشيء جزءاً من آخر هي هذه الحالة الطبيعية يعني المتعارفة عندنا كأن يكون مثلاً (أ متكون من ب + جـ) يعني أ = ب + جـ، فـ (ب جزء من

---

١ - بحار الأنوار ج ٩٩ باب٨ الزيارات الجامعة

أ)، و(ج جزء من أ) ربما هذا الفهم الأولي لهكذا حالة والمسألة اعتقد ليست هكذا، يعني ليست بنحو (الالتقاء التركيبي) و (الاندماج العقلي) كما نسميه أو (التجزئة الذهنية) التي تقع بحيث إن المعصوم (عليه السلام) يؤلف مثلاً من (أ + ب) و (أ) هو الإنسان الذي هو زيد- مثلاً- و (ب) يمثل إنسان آخر ربما هذا الفهم ليس هو المطلوب ولا اعتقد انه هو المراد بما ذكرته الزيارة الجامعة، بعض الآيات القرآنية اعتقد قربت شيئاً من هذا الأمر، مثلاً لاحظوا بخصوص آية الأسوة الآية المعروفة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[١] .

إن القرآن الكريم يريد أن يكون الإنسان يسير بذات الدقة و بنفس المسير الذي يسير عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي هي النتيجة التي حصلناها حينما طرحنا مفهوم ليلة القدر أن يكون الإنسان لقابل، لسنة كاملة هو يسير كما يسير المعصوم (عليه السلام) هذه الليلة تتيح له هكذا فرصة، بحيث عبرنا عنها أن يكون جزءاً من المعصوم(عليه السلام) وان يكون المعصوم جزءاً منه.

المفهوم القرآني اعتقد يختلف عندما يطرح القضية يطرحها بطريقة أخرى آية الأسوة التي ذكرناها تتكلم عن طريقة تركيب لكن تتكلم عنها بطريقة نوعاً ما جديدة وقرآنية وليست العقلية أو التجزيئية والذهنية، إنما الآية تتكلم وتقول انتم تريدون أن تتأسوا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نعم يا الهي نريد أن نتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول إذن عليكم أن تلتقوا بنفس النقطة

١ - الأحزاب ٢١

التي التقى بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، تارة أنت تفهم انه إذا اردنا أن نتأسى بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نسير كما كان يسير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأكل هكذا، آكل هكذا، الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينام هكذا، أنام هكذا، الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يلبس بهذه الطريقة،البس بهذه الطريقة وهذه هي الحالة السائدة ربما عند المتشرعة انه حينما يريدون يتأسون بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يتأسون هكذا، بحيث هذه الرواية ـ مثلاً ـ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يلبس بهذه الطريقة نلبس بهذه الطريقة، الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يجلس بهكذا وضعية نجلس بهكذا وضعية. نفس النتيجة نحصلها في القرآن الكريم لكن طريقها يختلف، القرآن الكريم يريدك أن تتأسى بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بطريقة نوعاً ما أعلى من هذا المستوى، ما هي الطريقة ؟

## الالتقاء بالعوالم التي يسير فيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

يقول أريدك أن تتحرك بحركة هذه الحركة نتيجتها النهائية انك تلتقي بنفس العالم الذي يسير فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، يعني أن تلتقي بطريق أو تسير بطريق ذلك الطريق يوصلك إلى نفس النقطة ويدخلك في عالم ويدخل في بُعد نستطيع أن نسميه بالفضاء ذلك الفضاء هو الذي يشغله الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) .

لاحظ الآية القرآنية ماذا تقول (أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) إذا عندك هذه الرغبة وهذه الحركة نحو الله تبارك وتعالى واليوم الآخر أنا اضمن لك ـ أي القرآن يضمن ـ انك تسير بنفس ما سار عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، هذه طريقة القرآن. الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه مسيرته، يقول لك

القرآن لا تطبق التطبيق الأعمى، أنا أريد حالة حقيقية سوف أدخلك في نفس العالم الذي سار فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يا الهي كيف ادخل في هذا العالم؟

يقول لك أريد ثلاثة أمور، أول شيء رجاء الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً، وبذلك سأضمن لك تماماً انك سوف تدخل في هذا العالم الذي يسير فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذن هي عملية دخول في عالم، فلنفهم هذه الحقيقة، ذلك العالم يؤهلك أن تسير بما سار عليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لكن التطبيق الأعمى من سيرة الرسول، لا تحصل النتيجة .

لذلك انتم تجدون فرقاً بين أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ مثلاً ـ وبين الصحابة في ذلك الوقت، واحدة من الرسائل التي كتبها (عليه السلام) إلى عثمان بن عفان في وقتها مضمونها يقول له (نحن عشنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سوية، ونحن اصطحبناه وكنا من أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت أيضا كنت من أصحابه، نحن قاتلنا معه أنت أيضا قاتلت معه، نحن آمنا به أنت أيضا آمنت به) هكذا الإمام (عليه السلام) يبين القضية لعثمان، لكن مع ذلك أنت ـ يا عثمان ـ خرجت عن الطريق بحيث طريقك سبب مشاكلا بينك وبين الأمة وخلافتك للأمة كانت خلافة غير منصفة ـ مضمون الرسالة[1] ـ العلة ما هي؟

---

١ - نهج البلاغة الخطبة ١٦٤ ص ٢٣٤من كلامه (عليه السلام) لما أجتمع إليه الناس وشكوا ما نقموه على عثمان (وَاللَّه مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ وَلَا خَلَوْنَا

إن هذه التحركات وحدها لا تكفي، القرآن الكريم يريد بُعداً حقيقياً يتولد عندك، ذلك البعد الحقيقي هو نفس البعد الذي عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، نفس البعد الحقيقي الموجود في داخلك هو البعد الحقيقي الموجود عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، عندها سوف نضمن لك الحركة ونضمن لك المسيرة .

لذلك ترون القرآن الكريم يتكلم عن الصحبة بخصوص بعض الصحابة الذين ذكرهم القرآن الكريم لكنه مع ذلك هذه الصحبة وحدها لا تكفي، حينما يقول ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ

---

بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه واله) كَمَا صَحِبْنَا وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه واله) وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا فَاللَّهَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً و يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ فَقَالَ (عليه السلام) مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ) .

إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾[1] انظر هذه الصحبة رغم إنهما سارا بنفس الطريق- هكذا الآية القرآنية تريد أن تقول ـ سار معه بنفس الطريق، وهاجرا معاً وهما الآن يلتقيان زماناً ومكاناً، نفس اللحظة الزمنية تجمعهم، نفس الموقع الزماني والمكاني أيضا يجمعهم لكن مع ذلك هذه الصحبة ليس لها قيمة . انظر قوله تعالى (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) القرآن الكريم يقول لك أريد البعد الحقيقي الذي يوجد بينك وبين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا سوف نضمن لك التأسي.

ندخل في الفكرة أكثر لأنها قد تكون غير واضحة تماماً . القرآن الكريم حينما يتكلم عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) يقول ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾[2] طبعاً نبي الله نوح (عليه السلام) كفترة زمنية بعيدة سابقة بكثير على إسحاق ويعقوب (عليهما السلام) فهو متقدم زماناً على إبراهيم (عليه السلام) بعشرة أجداد على الأقل، أو خمسة عشر جد، لكن مع ذلك القرآن عندما يتكلم عن (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) (عليهما السلام) يقول (وَنُوحاً هَدَيْنَا)، فالقرآن يتكلم عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وذريته ويقول (كُلاًّ هَدَيْنَا) مع ذلك يقول (وَنُوحاً هَدَيْنَا)، القرآن الكريم يريد أن يقول لك فكرة أنا لا انظر إلى عنصر الزمن والمكان والمحل لأنه ليس هو الجامع الحقيقي بين الموجودات، إنما الجامع الحقيقي بين الموجودات الذي

---

١ - التوبة ٤٠

٢ - الأنعام ٤٨

جمع (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) هو نفسه الذي يجمع نوحاً (عليه السلام) فهو يختزل الزمان مباشرة ويرجع بك إلى نبي الله نوح (عليه السلام)، فالتأسي بالقرآن الكريم هذه هي حقيقته.

لنأخذ أيضا تطبيقاً آخر لهذا المفهوم، لاحظوا أنتم مثلاً حينما نتكلم عن بعض صفات أهل الجنة وأهل النار نقول ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ❖ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[1] ما الذي جمع بين الأولين والآخرين وكم بينهما فترة زمانية بعيدة، لكنه يقول ـ القرآن ـ إن هذا الأمر ليس مهماً ولكنهم جمعتهم الحقيقة الواحدة وقد اختزلت الزمان والمكان بينهم، والآية القرآنية القائلة ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] انظروا فكيف يرى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) العمل يفترض أن يكون حاضراً زماناً ومكاناً، إن القران يريد أن يقول أن نفس البعد الحقيقي الذي تدخل فيه والذي هو نفس البعد الحقيقي عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سوف يجعل عملية الرؤية متحققة واقعة، وهذا معنى لطيف في القرآن الكريم بحيث يجيب على أسئلة كثيرة، لماذا نحن ظُلِمنا فلم نشاهد معصوماً (عليه السلام) ولم نلتق بمعصوم (عليه السلام) ولا التقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

والرعيل الأول كانوا أفضل حالا منا كانوا يلتقون بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبأمير المؤمنين (عليه السلام) وبخيرة الصحابة.

---

١ - الواقعة ١٣- ١٤

٢ - التوبة ١٠٥

القرآن الكريم فتح الفرصة يقول لك هذا رجاء الله واليوم الآخر وذِكْرُ الله كثيراً، هذا البعد الحقيقي لو دخلت فيه أنت التقيت مع كل ذلك الرعيل، ولا يؤثر عليك الزمان ولا المكان .

إذن عملية الالتقاء متحققة فعلاً وواقعاً، إنها حقيقة واقعية وعالم واقعي حقيقي يدخل فيه الإنسان بقلبه وروحه وعقله وفكره، يدخل فيه مباشرة فينقله إلى أولئك الأعاظم ويلتقي بأولئك العظماء ويكون جزءاً منهم ويكونوا جزءاً منه . لذلك الذي يقع في ليلة القدر ما هو؟

## ما الذي يقع في ليلة القدر ؟

إذا رجعنا إلى أصل السؤال الآن صار واضحاً الذي يقع في ليلة القدر أن العالم الذي جمعهم هو عالم واحد، يعني أنت دخلت بنفس الحقيقة التي يسير فيها المعصوم (عليه السلام) ودخلت بنفس العالم الذي يسير فيه المعصوم (عليه السلام) وهذا شرف عظيم ما بعده شرف، إذ شرّف الله تبارك وتعالى الإنسان وأهّله أن يكون في هذه الليلة ـ ليلة القدر ـ جزءاً من ذلك العالم ومن ذلك المحور الذي يدور حوله المعصوم (عليه السلام) والذي يتحرك فيه المعصوم (عليه السلام) .

هذا بخصوص الشق الأول من السؤال .

و أما بخصوص الشق الثاني من السؤال:

إن الإنسان كيف يستمر ويبقى على هذه الحالة ؟ واعتقد إن المحاضرة التي ذكرناها في يوم من الأيام اسمها **(التبدل حقيقة في حياة المؤمنين)**[1] اعتقد لو راجعنا تلك المحاضرة تعطينا الجواب على هذا السؤال، أيضا هناك طرحاً كاملاً للتبدل وكيف يقع التبدل وكيف يُعالج التبدل عند الإنسان، الجواب باختصار :

أن لا نتوقع من الإنسان أن لا يتغير ولا يتبدل، هذا أمر، وتوجد بعض المباحث الفلسفية تثبت هذا الأمر ـ نستطيع أن نسميها المباحث الحِكَمية القرآنية وليست فلسفية صرفة ـ أن الإنسان لا بد أن يتغير لابد أن يتبدل وليس فيها كلام، ولكن المشكلة هي ليس في تبدل الإنسان، المشكلة في نقطتين أنا في تصوري، إن الإنسان لا يعرف أين كان وأين أصبح، يعني هو لا يدري حالياً، لذلك لاحظوا الحديث ماذا يقول اعتقد إن هذا الحديث يوجد فهم آخر له لكن سوف نطرحه بفهم (رحم الله من عرف من أين والى أين وفي أين)[2] الفهم الأول للحديث انه (من أين) من أين ولد وفي أي عالم كان (والى أين) إلى أي عالم يذهب (وفي أين) يعني هذا العالم الذي فيه هو الآن ما هو.

---

١ - ذكرت هذه المحاضرة في ثنايا الكتاب ، فراجع .

٢ - الحكمة المتعالية ج١ ص ٤٩ قال أمير المؤمنين عليه السلام (رحم الله إمرءا اعد لنفسه واستعد لرمسه وعلم من أين وفي أين والى أين) .

فلنفهم هذا الحديث فهماً آخر ـ وان كان هذا الفهم صحيح أيضا وجيد ـ فهم لطيف وهو (من أين) يعني هو في أي حال كان، ثم انقلب إلى أي حال أخرى تبدل إلى أي حال أخرى، لاحظوا (رحم الله) هنا سوف تكون مرحوماً أنت ولطف الله تبارك وتعالى عليك موجوداً لو عرفت أنت انه من أين ؟ والى أين؟ لكن خطأ الإنسان هو انه لا يعرف من أين والى أين وهذه هي المشكلة عند كثير من إخواننا المؤمنين يعني ـ مثلاً ـ فلنفترض أن شخصاً ليلة القدر يريد أن يصلي ولكنه لا يستطيع ذلك، أو يريد أن يقرأ قرآن يرى نفسه ليس متفاعلاً مع الأمر، هنا لابد أن يعرف نفسه من أين يعني أين كان والى أين لأنه انتقل إلى محل ثاني هذا المحل الثاني لابد أن يعرف ماذا يفعل به لأن هذا المحل الذي هو فيه الآن لا يقبل صلاة ـ مثلاً. لكنه هو الآن في محل آخر لو عرفه سوف تنفتح له عبادة كبيرة لا يعلم بها، ربما يبقى الليل كله ساجداً ـ مثلاً ـ لو عرف المحل، أو يبقى الليل كله مسبحاً ـ مثلاً ـ أو يقرأ بسورة (إنا أنزلناه) أو الليل كله يبقى يقرأ (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن (عليه السلام)) ، المهم انه يعرف العالم الذي هو فيه الآن (رحم الله من عرف من أين والى أين) وهذا معنى حديث الإمام الصادق (عليه السلام) (لَا تُكَرِّهُوا إِلَى أَنْفُسِكُمُ الْعِبَادَةَ)[1] يعني انه تريد إدخالها في عالم هو ليس محلها لأن محلك غير محلها ـ العبادة ـ .

١ - الكافي ج٢ باب الاقتصاد في العبادة /ح٢

وهذا أيضا يفتح منه باب انه عند إخواننا المؤمنين في هذا الزمن ـ شاهدت ـ ان التقليد لبعض الصالحين ولبعض الأولياء كما في بعض الكتب التي ذكرت سيرة الصالحين والأولياء، في بعض الحالات يصير تقليد أعمى لهكذا أمور، أنا اعتقد أن المسألة ليست هكذا . نحن نقرأ ـ مثلاً ـ عن بعض الأولياء أنه في العشرة الأواخر من شهر رمضان لا يرى يختفي ولا احد يعلم أين ذهب ويظهر بعد العيد يجب ان لا نقلد الحالة هكذا أيضا نختفي في العشرة الأواخر فليست هذه طريقة واعية للقرب من الله تبارك وتعالى، أكيدا ذلك الولي الصالح له أجواءه الخاصة، له تكاليفه الخاصة، له فهمه الخاص، له عالمه الخاص الذي ربما طلب منه أن يخطوا هكذا خطوات على العموم أنا لا أريد أن اضرب أمثلة كثيرة . لكنه نلمح للفكرة بشكل سريع انه علينا أن نعي أن نفهم انه (ليس العبادة كثرة الركوع والسجود إنما العبادة هي كثرة التفكر في أمر الله)[1]، التفكر في أمر الله أن يعي الإنسان ويفهم، أمر الله يعني من أين والى أين، هذه نقطة جداً مهمة .

اعتقد هذا السبب الأول.

**السبب الثاني:**

أن يثق الإنسان بقلبه، بعض المؤمنين ليس عندهم ثقة كبيرة بقلوبهم، العبادة هي القلب السليم القلب النقي الصافي، فلو إن الإنسان مثلاً لم

---

١- تحف العقول عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ (عليه السلام) قَالَ (لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ) .

يصل الصبح منع من صلاة الصبح في يوم من الأيام وقلبه وجل من هذه الفكرة ونادم ومنكسر هنا لابد أن يثق بقلبه أن يثق بهذه الحالة ويسير معها ولا يهمل هذه الحالة فهي رزق، الله تبارك وتعالى ألقاه في قلبك، عوضك عن هذا الأمر بشيء في قلبك، لم يرد أن يمنعك ويحرمك بشكل كامل، وإنما عوضك بشيء في قلبك فأيضاً لابد للإنسان أن يستغفر ـ يعني هذه الحالة القلبية التي عنده لابد أن يستغلها . وهذا ربما كجواب على هذا الذي تفضلتم به. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

# القاعدة الثالثة عشر

# أُلفة القلوب

# تتحقق بنيل العلوم الرفيعة

# ألفة القلوب تتحقق بنيل العلوم الرفيعة[1]

ورد في الحديث (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)[2] وما ورثه العلماء هو العلم، وهذا العلم الحاصل بالوراثة هو أتم العلوم وأعلاها . وهو ليس مجرد علم استدلال أو برم إشكال، بل هو نظرة خاصة وأمر يُلقى في القلب كلمح البصر من عالم اللوح والقلم، قال تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[3]. وهذا الأمر وان كان واحداً إلا أن تلقي الوجودات له يختلف باختلاف قوابلها في الاستعداد، فلا يعلم الأمور على التفصيل إلا الله وحده ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾[4] وكل من ادعى أنه أحاط بتفاصيل الأشياء على دقتها وحقائقها فتحقق القطع وحكم بصحة ما عنده

١ - هذه القاعدة هي كلمة كتبها الشيخ (دام توفيقه) بعنوان (ألفة القلوب تتحقق بنيل العلوم الرفيعة) ألقيت نيابة عنه في مؤتمر دعت إليه هيئة المواكب الحسينية اذرع المشروع والعاملين فيه لمناقشة هموم العمل الرسالي وتصفية القلوب في الليالي الأخيرة من شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٢ هـ . وتم ألحاقها بما تقدم من البحوث تتميما للمنفعة بإذن الله تبارك وتعالى فالحمد لله أولا وأخرا وهو أرحم الراحمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

٢ - الكافي ج١ ص٢٢ (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَذَاكَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورِثُوا دِرْهَماً وَلَا دِينَاراً وَإِنَّمَا أَوْرَثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَخَذَ حَظّاً وَافِراً فَانْظُرُوا عِلْمَكُمْ هَذَا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ فَإِنَّ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ خَلَفٍ عُدُولًا يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ) .

٣ - القمر ٥٠

٤ - البقرة ٢٥٥

فهو أقرب إلى الوهم وأبعد عن رؤى التعقل فكان العلم المحجوب عنه حملة نوعه سببا لاختلاف المُتساقين من كأسه قال تعالى ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْعِلْمُ﴾[١] .

وهذا الاختلاف ظهر من القطع بالعلم المحمول والشك في الحامل المقابل، فظهر سوء الظن وظهر الشك السلبي وظهر قتل الشخصية وظهرت إمامة الإنسان نفسه وظهرت استقلالية قراره، وانكشف داخله عن تكبر ظهر بتواضع أمام من أرادهم بثمن دينه وهو عند الله معرى الستار مهتوك الحجاب، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ( أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ)[٢] فظهرت أقدم معصية وأرساها في أعماق النفس، فمُنع الاعتراف بالحقيقة المكنونة خلف المظاهر المختلفة . فظهرت الطوائف المشتتة كل طائفة متكبرة متعالية على أختها كحلاوة الجاه في أعينهم وما راق لطعم العلم في شباك أفكارهم، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) (فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[٣] ولو سمعوا نداء خالقهم لكانوا أشد حرصا على الخير . الم تقل امرأة فرعون انه ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾[٤]

---

١ - الجاثية ١٧ .

٢ - نهج البلاغة ص ٣٧٧ من كتابه عليه السلام إلى زياد .

٣ - نهج البلاغة الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية ص٤٩ .

٤ - القصص ٩ .

الم نسأل أنفسنا كيف يكون موسى قرة عين لفرعون المتكبر؟ ألا يعكس هذا مؤثرية الحقائق العالية في مختلف النفوس؟ ألا يدل على بصيرة امرأة فرعون للخير المحتمل في جوهر زوجها؟ فما قولنا والمؤمنون أبناء كتاب واحد ونبي واحد وولدنا من رحم واحدة، فهل هنالك أجمل وأحسن من أن يكون بعضنا قرة عين للبعض الآخر؟ وفينا من يفقه كتاب الله تعالى وفينا من تذوقوا المعنويات وفينا من اكتسب العلوم. قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وهذه الآية نتلوها كثيرا لكن كم الذين سألوا لماذا قال تعالى ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ؟ فإذا كانت الأخوة متحققة فهل هذا كاف أم هنالك روح أعمق تبدأ بإصلاح درجات ومراتب الإخوان مع بعضها ـ أي درجاتهم الحقيقة الواقعية ـ وهذا الإصلاح لا يقع إلا بنيل العلوم الرفيعة الطاهرة وعدم استصغار درجات الآخرين ﴿وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

١ - الحجرات ١٠
٢ الأنفال ٦٣

# فهرس المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة الإمام علي عليه السلام جمعه الشريف الرضي

٣. الصحيفة السجادية الإمام علي بن الحسين عليه السلام

٤. أصول الكافي العلامة الكليني

٥. بحار الأنوار العلامة محمد باقر المجلسي

٦. وسائل الشيعة الحر العاملي

٧. المصباح الكفعمي

٨. تحف العقول الحسن ابن شعبة الحراني

٩. غرر الحكم ودرر الكلم عبد الواحد الآمدي

١٠. إرشاد القلوب الديلمي

١١. مجموعة ورام ورام بن ابي فراس

١٢. الطرائف السيد علي بن طاووس

١٣. مشكاة الأنوار علي بن الحسن الطبرسي

١٤. عيون الحكم والمواعظ الشيخ الليثي الواسطي

١٥. شرح الأسماء ملا هادي السبزواري

# الفهرست